الأئمة الاثنا عشر عليهم السلام

الإمام موسى بن جعفر عليه السلام

بقلم
الشيخ محمد حسن آل ياسين

www.aljawadain.org

الإمام موسى بن جعفر عليه السلام

الأئمة الاثنا عشر عليهم السلام

الإمام موسى بن جعفر عليه السلام

بقلم

الشيخ محمد حسن آل ياسين

المطبعة العربية/ بيروت
١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمدٍ المصطفى المختار خاتم النبيين وسيد المرسلين، وآله الصفوة الميامين الطيبين الطاهرين.

وبعد:

فليس من التكرار المملول أن أُعيد هنا ما سلف مني ذكره فيما قدَّمتُ به الكتب السابقة المعنيَّة بالأئمة المنتجبين، من كون الحديث عنهم أجمل الحديث، وكون سيرتهم العطرة المضمَّخة بالأريج أعذبَ السِّيَر، وكون حياتهم المعطاء الدفاقة بالخير أسمى ما عرفت البشرية من حياة؛ فيما تنشر من بركة؛ وتمنح من نقاء؛ وتضفي من ألق وتوهج ونور.

ولقد قلت سابقاً: ان نفسي كانت تسوقني ـ منذ حين ـ الى كتابة هذه الأوراق الحافلة باللباب النافع والمقتصرة على المختصر المفيد، في تسجيل لمحات من تاريخ اولئك القادة العظام أبواب علم النبوة؛ وخزّان كنوز الوحي؛ وحاملي أسرار التنزيل، لأن تاريخهم المشعَّ المتلألىء هو تاريخ الاسلام الأصيل، بما حمل من هدى واشراق وعطاء؛ وبما ألهم من عزم وتضحية وفداء.

وعشتُ ازاء هذه الرغبة الملحّة بين عاملَيْ أخذٍ وردٍّ، يستقي أحدُهما حَذَرَه من شموخ هذا الموضوع ومن التضاؤل أمامه خوفاً ونرقاً من ولوج هذا الخضم البعيد الغور. ويستمد ثانيهما عزمَه من الاحساس بأن هناك جوانب في تاريخ الأئمة وسيرتهم وتراثهم الفكري؛ لم تبحث على النحو الذي يجب أن يكون عليه البحث ـ بمعناه المعاصر ـ في العرض والسرد والتحليل، بعيداً عما هو خارج عن المنهج العلمي مما لا ضرورة له من التفصيل والتطويل، بل ان هناك من تلك الجوانب ما لم يسلّط عليه الضوء الكاشف بالقدر الذي ينبغي له من جلاء وتبيين، ولم تُجْمَع أطرافه المهمة في دراسات موجزة تغني قارىء اليوم ـ وهو العَجِلُ الضيِّق الوقت ـ عن الرجوع الى الكتب الضخمة والموسوعات الكبرى التي لم تلتزم في معظمها بطرائق التبويب المنهجي الحديث، ولم تخضع في الغالب لقواعد التدقيق والتمحيص والغربلة.

واستسلمتُ أخيراً لعنف الرغبة التي عاشت في حنايا نفسي حيناً غير قصير من الزمن، واقتحمتُ الميدان وكلي أمل بأن يحالفني التوفيق في انجاز حلقات هذه «السلسلة» على النحو الذي رجوته لها: قياماً بواجب الوفاء بأبرز أطراف البحث ومسائله الرئيسة، والتزاماً بالأمانة والموضوعية في النقل والنقد والمحاكمة واستخلاص النتائج.

وهكذا بدأتُ العمل ـ متوكلاً على الله ـ في الاعداد لهذه الدراسات.

وعلى هدى ذلك المنهج حررتُ هذه الصفحات.

والله المسؤول أن يكتب لي في هذا المسعى بعض النجاح في إفادة القراء ونفعهم، وبعضَ الأجر والثواب في كتاب حسناته وميزان نفحاته. وهو ـ تعالى ـ وليُّ ذلك كله من قبل ومن بعد.

★★★

وستُعنى هذه الرسالة بفصولها الثلاثة بعرضٍ موجز لسيرة الامام السابع من أئمة الحق الأصفياء المطهرين، «كاظم الغيظ» و«زين المتهجدين»، و«العبد الصالح» ابن زبدة الصالحين، مشعل الهداية وقطب رحى العلم موسى بن جعفر بن محمد بن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

وقد عقدتُ الفصل الأول منها على تاريخ الامام (بين ولادته وامامته) متحدثاً فيه عن حياته الشخصية وشؤونه الذاتية؛ ومنها الولادة والنشأة؛ والكنى والألقاب؛ والأزواج والأولاد، مع الاشارة العابرة الى بعض ما عانى في أيام الصبا والشباب من آلام نوائب دهره، ومظالم عصره، حيث كانت تلك السنون حافلة بالمصائب والمكاره النازلة بأهل البيت خاصة؛ والمآسي والأرزاء المنصبة على عموم المسلمين.

وعقدتُ الفصل الثاني على تاريخ الامام (بين إمامته وشهادته) شارحاً فيه الأدلة على امامته كما أرشدتْ اليها النصوص النبوية المتعاضدة الدلالة والموثّقة السند والمتفق بين المسلمين على تلقي مضامينها بالقبول، مما يبحث عنه طالب النص الذي يعتقد أن لا

إمامة بدونه. ثم عرضتُ ما تواترت به الشهادات على أهليته وكفايته للامامة وانفراده بالمواصفات المطلوبة التي أجمع جمهور المسلمين على وجوب اجتماعها في شخص الامام إذلا إمامة لديهم بغيرها. مع بيانٍ مقتضب لمجمل سِيَرمن تقمَّص الخلافة والولاية العامة في عصره، لغرض التوعية والمقارنة والتذكير بحقائق الامور.

ثم أوردتُ بشيء من الاستيعاب والشمول ماذكر المؤرخون من مواقفه ازاء أحداث زمانه، وعلاقاته بحكّام تلك الأيام من مدَّعي الامامة الدينية والنيابة النبوية؛ في مختلف جوانبها المتنوعة وحالاتها المضطربة؛ سلباً ومهادنة؛ وصعوداً وانحداراً؛ وشدّاً وإرخاءً، وما تحمل منهم من ألوان الأذى والارهاب، وما تنقَّل فيه من منافٍ وسجون، وما ختم به الظالمون ذلك كله بدسِّ السم اليه، فكانت فيه نهاية حياته في دار البلاء والعذاب وبداية عيشه في رحاب الجنان والرضوان.

وعقدتُ الفصل الثالث على (تراث الامامة) الذي تلقَّتْه الامة من الامام موسى بن جعفر (ع)، فاستعرضتُ فيه أولاً مصادر علم الامام ومنابع معرفته التي أصبح ببركتها بهذه المثابة من التفرد والشموخ بين مجموع رجال عصره وبارزي دهره. ثم أوردتُ شواهد ومقتطفات من ذلك التراث الذهبي الخالد الذي يمثِّل الفكر الاسلامي الناصع أصدق تمثيل؛ ويجسِّد الهدي الديني القويم أفضل تجسيد، وكان من تلك الأمثلة الاستشهاد ببعض ما

أثر عنه في تمجيد العقل وتكريم العلم وتفضيل التفقُّه والتعلُّم على الانشغال بمستحبات العبادة والتنفُّل، كما رويتُ نصوصاً بألفاظها لبعض ما رُوي عنه في التوحيد والعدل ومعاجز الأنبياء، مع اشارات موجزة لذلك الكَمِّ العظيم من أقواله وأحكامه في جميع أبواب الفقه وموضوعاته، وفي سائر مجالات الحياة الاجتماعية والشؤون الأخلاقية والسلوكية؛ وفيما يمس الفرد والمجتمع ويضمن لهما الصلاح في الدارين والخير في النشأتين.

ولما كان الطريق الأوحد لوقوفنا على ذلك التراث ـ فيما أوردنا من شواهده وما لم نورد ـ هم الرواة الذين شافهوا الامام وسمعوا منه وحفظوا حديثه فنقلوه الى الأجيال من بعدهم، كان التعرف بهم ـ حتى بمجرد ذكر الأسماء ـ تتمة مهمة لا ينبغي اغفالها في هذا البحث؛ إن لم نقل بأنها جزءٌ لا يتجزأ منه بموجب مقتضيات الوفاء بالموضوع ورعاية استيفاء متطلباته. وبالنظر الى أن عدد هؤلاء الرواة كثير ووفير جداً؛ فقد اقتصرنا ـ طلباً للاختصار ـ على تسمية المؤلفين منهم خاصةً ممن نصَّ مترجموهم على أن لهم كتاباً مدوَّناً أو أكثر من كتاب، تعبيراً منّا عن الامتنان لهم والاعتزاز بدورهم الفاعل في رواية ذلك التراث والحفاظ عليه؛ كما انه تعبير أيضاً عن الاحترام والتقدير لريادتهم عملية البحث والتدوين في المائة الهجرية الثانية؛ وكونهم الطلائع الاولى من رجال التأليف في تاريخ الاسلام.

★★★

وفي الختام ـ كما في البدء ـ اكرر حمد الله تعالى على آلائه ونعمائه ، وأبتهل اليه عزَّ وجل أن يسدِّد الخطا على الطريق ، ويمدَّ بمزيد من التوفيق ، انه خير مسدِّد وموفق ومعين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

العراق/ بغداد/ الكاظمية : محمد حسن آل ياسين

مُوسَىٰ بْنُ جَعْفَرْ
بَيْنَ
وِلادتِهِ وَإمَامَتِهِ

«نشأ هذا الوليد السعيد في احضان أبيه العظيم الذي ملأ الدنيا علمُه وفقهُه ، وفي ظلال شجرة النبوة ودوحة الامامة ؛ حيث موضع الرسالة ومختلف الملائكة ومهبط الوحي ، فاذا هو منذ مطلع شبابه بحرٌ طافح بالعلم ؛ متدفق بالمعرفة ؛ زخّار بفقه الكتاب وحقائق الدين وأحكام الشريعة» .

في السابع من شهر صفر[1]؛ لسنة ١٢٨هـ على الأرجح[2]؛ وقيل: سنة ١٢٩ هـ[3]، وكان يوم الأحد[4]؛ وقيل: الثلاثاء[5]، وفي ساعات التهجد الروحي والنفحات الالهية عند السحر[6]،

---

(١) المناقب: ٢/٣٨٣ وبحار الأنوار: ٤٨/١و٦و٩ وجواهر الكلام: ٢٠/٩٨ وعمدة الزائر: ٣٠٦.

(٢) الارشاد: ٣٠٧ وتهذيب الطوسي: ٦/٨١ والمناقب: ٢/٣٨٣ وكفاية الطالب: ٣٠٩ والعبر: ١/٢٢٢ وسير أعلام النبلاء: ٦/٢٧٠ وعمدة الطالب: ١٨٥ وتهذيب التهذيب: ١٠/٣٤٠ والفصول المهمة: ٢١٤ وشذرات الذهب: ١/٣٠٤ وبحار الأنوار: ٤٨/١و٦ ونور الأبصار: ١٣٦.

(٣) تاريخ أبي الفدا: ٢/١٦، ولم يذكر تاريخاً آخر. وورد ذكر (سنة ١٢٨ وقيل ١٢٩) في الكافي: ١/٤٧٦وتاريخ بغداد: ١٣/٢٧ وصفة الصفوة: ٢/١٠٥ ووفيات الأعيان: ٤/٣٩٥ وتذكرة الخواص: ٣٥٧ ومنهاج السنة: ٢/٢٤ والبداية والنهاية: ١٠/١٨٣ ومطالب السؤول: ٢/٦١ و٦٥ والنجوم الزاهرة: ٢/١١٢ والأئمة الاثنا عشر: ٩٣ وبحار الأنوار: ٤٨/٧ وجواهر الكلام: ٢٠/٩٨ وعمدة الزائر: ٣٠٦.

(٤) المناقب: ٢/٣٨٣ وبحار الأنوار: ٤٨/٦و٩ وجواهر الكلام: ٢٠/٩٨ وعمدة الزائر: ٣٠٦.

(٥) وفيات الأعيان: ٤/٣٩٥ والأئمة الاثنا عشر: ٩٣.

(٦) وفيات الأعيان: ٤/٣٩٥ والأئمة الاثنا عشر: ٩٣.

عندما كان ركب الامامة المتلألىء باشراق محيّا أبي عبدالله الصادق (ع) قد حطَّ رحاله في الأبواء[7] ـ وهي منزل من منازل الطريق بين مكة والمدينة ـ في رحلة العودة من الحج[8]، أطلَّ على الدنيا وجه موسى بن جعفر وهو يتهلَّل تبلُّجا ورواءً؛ ويتوهج سناً وجمالاً، فيغمر الأرجاء الكالحة المظلمة بمزيج من العطر والنور، ويُشيع في الركب المسافر أسمى مشاعر البهجة والحبور.

ثم وصل موكب الحجيج الى المدينة المنورة ومعهم وليدهم المؤمَّل المبارك، فعجت بيوت النبوة بالمسرات والبشائر، وضجت الحناجر بحمد الله تعالى على عطائه ونعمائه، وتقدَّم الامام الصادق (ع) الى من حوله من أصحابه بأن يطعموا الناس ثلاثاً بهذه المناسبة السعيدة[9].

★★★

لقد كان هذا المولود الميمون مجمع الشرف المؤبَّد والمجد المخلَّد والسيادة المطلقة في الدنيا والآخرة، فهو وارث علم النبوة عن آبائه الطاهرين، والأمين على ثقل الامامة المنتقل اليه من أسلافه المنتجبين، وحسبه انه موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أمير المؤمنين؛ وابن فاطمة بنت محمد ـ ص ـ سيدة نساء العالمين. وهل أقلَّت الأرض في سابقها ولاحقها مَنْ لا

(٧) معظم المصادر المذكورة في الهامشَيْن (٢) و(٣).
(٨) الكافي: ١/٣٨٥ وبحار الأنوار: ٤٨/٣.
(٩) بحار الأنوار: ٤٨/٤.

يخضع؛ بل لا يخشع؛ أمام عظمة هذا النسب؛ وزهو هذا الحسب؛ وشموخ هذا المجد الرفيع الذي لا يطاله منافس؛ ولا يرقى اليه محلِّق؛ ولا يحوم حول ذراه أيٌّ من ذوي العنوان والكبرياء والسلطان.

أما أُمُّه فهي السيدة حميدة بنت صاعد[10]، وكانت جارية مغربية أندلسية[11] ترجع بأعراقها الى بربر المغرب[12]، وهي ام أخويه اسحاق ومحمد[13]، واشتهرت باسم (حميدة المُصَفّاة)[14] كما سمّاها بذلك الامام جعفر بن محمد الصادق ـ ع ـ في قوله المأثور عنه: «حميدة مصفاة من الأدناس كسبيكة الذهب»[15].

★★★

(١٠) مقاتل الطالبيين: ٤٩٩ وتاريخ اليعقوبي: ٣/١٤٥ (وفي المطبوع: حمدة) والارشاد: ٣٠٧ وتهذيب الطوسي: ٦/٨١ والمناقب: ٢/٣٨٣ ومطالب السؤول: ٢/٦١ والفصول المهمة: ٢١٤ وبحار الأنوار: ٤٨/٦ وجواهر الكلام: ٢٠/٩٧ وينابيع المودة: ٣٨٢ ونور الأبصار: ١٣٦.
(١١) المناقب: ٢/٣٨٣ وتذكرة الخواص: ٣٥٧ وعمدة الطالب: ١٨٥ وبحار الأنوار: ٤٨/٦ ـ ٨ وعقيدة الشيعة: ١٦٠.
(١٢) الكافي: ١/٤٧٦ وبحار الأنوار: ٤٨/ ٧و٨ وعقيدة الشيعة: ١٦٠. وكان المنصور العباسي وعبدالرحمن بن معاوية ملك الاندلس ابنَيْ بربريتَيْن، (تاريخ الخلفاء: ١٧٣).
(١٣) بحار الأنوار: ٤٨/٢٢٨.
(١٤) المناقب: ٢/٣٨٣ وبحار الأنوار: ٤٨/١و٦ وعمدة الزائر: ٣٠٦.
(١٥) الكافي: ١/٤٧٧.

وعُرف هذا الوليد منذ بدء أمره وعمره بكنيته الشهيرة «أبو الحسن»[16]، وقد يكنيه بعضهم: «أبو الحسن الأول»[17] تمييزاً بينه وبين الامامين أبي الحسن الرضا وأبي الحسن الهادي ـ عليهما السلام ـ. أما ما ورد في بعض المصادر من تكنيته «أبو ابراهيم»[18] و«أبو علي»[19] و«ابو اسماعيل»[20]، فالراجح انها كنىً متأخرة التاريخ؛ وقد أطلقت عليه بعد ذلك عندما أصبح أباً لهذا أو ذاك من الأولاد.

أما ألقابه فلم نعرف المتقدم منها والمتأخر؛ لعدم بيان ذلك في النصوص التاريخية، ولكن أشهرها وأكثرها شيوعاً في المصادر وبين الناس ذلك اللقب الذي أصبح له بمثابة الاسم والعَلَم وهو

---

(١٦) مقاتل الطالبيين: ٤٩٩ والارشاد: ٣٠٧ وتهذيب الطوسي: ٦/ ٨١ وتاريخ بغداد: ١٣/ ٢٧ وكفاية الطالب: ٣٠٩ وتذكرة الخواص: ٣٥٧ والعبر: ١/ ٢٢١ والبداية والنهاية: ١٠/ ١٨٣ ومطالب السؤول: ٢/ ٦١ والفصول المهمة: ٢١٤ ومرآة الجنان: ١/ ٣٩٤ وعمدة الطالب: ١٨٥ وتهذيب التهذيب: ١٠/ ٣٣٩ والأئمة الاثنا عشر: ٨٩ وجواهر الكلام: ٢٠/ ٩٧ وينابيع المودة: ٣٨٢ وعمدة الزائر: ٣٠٦ ونور الأبصار: ١٣٦.

(١٧) المناقب: ٢/ ٣٨٢ وبحار الأنوار: ٤٨/ ١١.

(١٨) مقاتل الطالبيين: ٤٩٩ والارشاد: ٣٠٧ وتهذيب الطوسي: ٦/ ٨١ والمناقب: ٢/ ٣٨٢ وعمدة الطالب: ١٨٥ وبحار الأنوار: ٤٨/ ١١ وجواهر الكلام: ٢٠/ ٩٧ وعمدة الزائر: ٣٠٦.

(١٩) الارشاد: ٣٠٧ وتهذيب الطوسي: ٦/ ٨١ والمناقب: ٢/ ٣٨٢ وبحار الأنوار: ٤٨/ ١١ وجواهر الكلام: ٢٠/ ٩٧ وعمدة الزائر: ٣٠٦.

(٢٠) مطالب السؤول: ٢/ ٦١ وبحار الأنوار: ٤٨/ ١١.

«الكاظم»[21]، ونصَّ عدد من المؤرخين على أنه قد لُقِّب به لفرط حلمه وكظمه الغيظ وتجاوزه عن المسيئين اليه[22].

«وكان الناس بالمدينة يسمونه: زين المتهجدين»[23]، كما كان يُدْعى «العبد الصالح» من عبادته واجتهاده[24].

كذلك كان من ألقابه التي ذكرها عدد من مترجميه: «الزاهر» و«الصابر» و«الوفي» و«الأمين»[25]، وأضاف اليها سبط ابن

---

(٢١) جميع المصادر التي ترجمت له.

(٢٢) الارشاد: ٣٠٧ و٣١٩ وتهذيب الطوسي: ٦/ ٨١ والمناقب: ٢/ ٣٨٢ وكفاية الطالب: ٣٠٩ وكامل ابن الأثير: ٥/ ١٠٨ وتذكرة الخواص: ٣٥٧ والعبر: ١/ ٢٢١ والبداية والنهاية: ١٠/ ١٨٣ وتاريخ أبي الفدا: ٢/ ١٥ ـ ١٦ ومطالب السؤول: ٢/ ٦١ والفصول المهمة: ٢١٣ وعمدة الطالب: ١٨٥ والنجوم الزاهرة: ٢/ ١١٢ وتهذيب التهذيب: ١٠/ ٣٣٩ ومرآة الجنان: ١/ ٣٩٤ وبحار الأنوار: ٤٨/ ١١ وينابيع المودة: ٣٦٢ ونور الأبصار: ١٣٦ واسعاف الراغبين: ٢١١ وعقيدة الشيعة: ١٦٤.

(٢٣) الارشاد: ٣١٩ والمناقب: ٢/ ٣٨٢ وبحار الأنوار: ٤٨/ ١١ و١٠٣ ـ ١٠٤.

(٢٤) الارشاد: ٣٠٧ وتهذيب الطوسي: ٦/ ٨١ وتاريخ بغداد: ١٣/ ٢٧ والمناقب: ٢/ ٣٨٢ وصفة الصفوة: ٢/ ١٠٣ ووفيات الأعيان: ٤/ ٣٩٣ وشرح نهج البلاغة: ١٥/ ٢٩١ وتذكرة الخواص: ٣٥٧ وسير أعلام النبلاء: ٦/ ٢٧١ ومطالب السؤول: ٢/ ٦١ والنجوم الزاهرة: ٢/ ١١٢ ومرآة الجنان: ١/ ٣٩٤ وتهذيب التهذيب: ١٠/ ٣٤٠ والأئمة الاثنا عشر: ٨٩ وعقيدة الشيعة: ١٦٤.

(٢٥) يراجع في ذلك: المناقب: ٢/ ٣٨٢ ومطالب السؤول: ٢/ ٦١ والفصول المهمة: ٢١٤ وبحار الأنوار: ٤٨/ ١١ ونور الأبصار: ١٣٦.

الجوزي: «السيد» و«الطيب» و«المأمون»[٢٦].

ثم اشتهر بعد وفاته ـ وخصوصاً عند أهل العراق ـ بـ«باب قضاء الحوائج الى الله»، وذلك لنجح قضاء حوائج المتوسلين به[٢٧].

★★★

نشأ هذا الوليد السعيد في أحضان أبيه جعفر بن محمد الصادق (ع)؛ الذي عُرِف بين الناس بأنه الامام «الذي ملأ الدنيا علمُه وفقهُه»[٢٨]، والذي قال فيه أحد تلامذته وهو النعمان بن ثابت إمام المذهب المنسوب اليه: «ما رأيتُ أفقه من جعفر بن محمد»[٢٩]، وقال فيه عمرو بن أبي المقدام: «كنتُ اذا نظرتُ الى جعفر بن محمد علمتُ أنه من سلالة النبيين»[٣٠]، وأجمعت الكلمة على أنه الامام الذي «احتج به سائر الامة» و«حدَّث عنه الأئمة»[٣١].

نشأ الامام موسى بن جعفر في حجر هذا الأب العظيم، متفيئاً ظلال شجرة النبوة ودوحة الامامة، حيث اختار الله موضعَ

(٢٦) تذكرة الخواص: ٣٥٧.
(٢٧) مطالب السؤول: ٢/٦١ والفصول المهمة: ٢١٣ وينابيع المودة: ٣٦٢ ونور الأبصار: ١٣٦ واسعاف الراغبين: ٢١١.
(٢٨) شرح نهج البلاغة: ١٥/٢٧٤.
(٢٩) تذكرة الحفاظ: ١/١٦٦ والنجوم الزاهرة: ٢/٩ وغيرهما من المصادر.
(٣٠) حلية الأولياء: ٣/١٩٣ ومنهاج السنة: ٢/١٢٤ وتهذيب التهذيب: ٢/١٠٤ وغيرها من المصادر.
(٣١) تذكرة الحفاظ: ١/١٦٧ وسير أعلام النبلاء: ٦/٢٥٧.

الرسالة ومختلفَ الملائكة ومهبط الوحي، وحيث استقرَّ ملتقى رافِدَي السماء والأرض؛ واجتمع الثقلان اللذان لن يفترقا حتى يردا الحوض: كتاب الله وعترة الرسول. فكانت نشأة متميزة فذة لا يتسنى مثلها الا لنظرائه من ذرية النبيين وسلالة المرسلين، فاذا هو منذ صباه بحرٌ موّاج بالعلم دفّاقٌ بالمعرفة؛ زخّار بفقه الكتاب وحقائق الدين وأسرار الشريعة.

وحسبنا مثلاً على ذلك ما رواه الرواة عن أبي حنيفة قال:

«رأيت موسى بن جعفر ـ وهو صغير السن ـ في دهليز أبيه، فقلتُ: أين يُحدث الغريب منكم اذا أراد ذلك؟. فنظر اليَّ ثم قال: يتوارى خلف الجدار، ويتوقّى أعين الجار، ويتجنّب شطوط الأنهار ومساقط الثمار وأفنية الدور والطرق النافذة والمساجد، ولا يستقبل القبلة ولا يستدبرها، ويضع بعد ذلك حيث شاء».

«قال: فلما سمعتُ هذا القول منه نبل في عيني وعظم في قلبي، فقلت له:

«ممن المعصية؟».

«فقال: ان المعصية لابد أن تكون من العبد أو من ربه أو منهما جميعاً. فإنْ كانت من الله تعالى فهو أعدل وأنصف من أن يظلم عبده ويؤاخذه بما لم يفعله. وإن كانت منهما فهو شريكه؛ والقويُّ أَوْلى بإنصاف الضعيف. وإن كانت من العبد وحده فعليه وقع الأمر؛ واليه توجَّه النهي، وله حقَّ الثواب والعقاب ووجبت الجنة

والنار»[٣٢].

هكذا نشأ موسى بن جعفر في هذه البيئة المباركة الناصعة النقاء، وفي تلك البيوت التي يعلو فيها ذِكرُ الله أطراف الليل وآناء النهار، وتردَّد في جنباتها همسات التسبيح والتهليل؛ وأصداء الابتهال والترتيل، وينتشر منها على الناس فيوض العلم النافع؛ ودروس العمل الصالح؛ وأمثولة الخلق السامي والأدب الرفيع.

وسرعان ما اكتملت خطوط رجولته الناطقة ومعالم شبابه المتفتح، واتضحت للعيان صفاته الخَلْقية ومواهبه الخُلُقية وملكاته الذاتية، على نحوٍ ممتازٍ ولافت للنظر، فكان كما روى مؤرخوه ومترجموه «أسمر اللون»[٣٣]، «أزهر»، «كث اللحية»[٣٤]، كما كان أيضاً في مزايا الذات «رابط الجأش»[٣٥]، «حسن الصوت حسن القراءة»[٣٦]، بل كان أحسن الناس صوتاً بالقرآن؛ «وكان اذا قرأ يحزن ويبكي السامعون لتلاوته»[٣٧]، مضافاً الى ما تقدم ذكره في

(٣٢) المناقب: ٢/٣٧٦ واللفظ منه. وورد قريب منه في الكافي: ٣/١٦ وتحف العقول: ٣٠٧ ـ ٣٠٨ والاحتجاج: ٢١١ وبحار الأنوار: ١٠/٢٤٧ و٤٨/١٠٦.

(٣٣) عمدة الطالب: ١٨٥ والفصول المهمة: ٢١٤ وبحار الأنوار: ٤٨/١١ و٢٤٨ ونور الأبصار: ١٣٦.

(٣٤) المناقب: ٢/٣٨٢ وبحار الأنوار: ٤٨/١١.

(٣٥) عمدة الطالب: ١٨٥ وبحار الأنوار: ٤٨/٢٤٨.

(٣٦) الاحتجاج: ٢١٥.

(٣٧) الارشاد: ٣١٩ والمناقب: ٢/٣٧٩ و٣٨٣ وبحار الأنوار: ٤٨/١٠٣ ـ ١٠٤.

ألقابه من اشتهاره بكظم الغيظ وتحمل الأذى والصبر على مكاره الدهر وشدائد الأيام وإساءات الأعداء.

واستقل منذ ذلك الحين بحياته البيتية في اسرته الخاصة بين نسائه وأولاده، وقد رزقه الله على امتداد أيامه في هذه الدنيا عدداً كبيراً من البنين والبنات لم يتفق المؤرخون على تعدادهم وأسمائهم، ولكنهم بلغوا «سبعة وثلاثين» لدى بعضهم[٣٨]، وقيل: ثلاثون[٣٩]، وقيل: أربعون[٤٠]، وقيل غير ذلك وأكثر منه[٤١].

ونورد فيما يأتي أسماء أولاده الذكور مرتَّبة على تسلسل الحروف الهجائية:

١ ـ ابراهيم (الأصغر).

٢ ـ ابراهيم (الأكبر).

٣ ـ أحمد.

٤ ـ اسحاق.

(٣٨) الارشاد: ٣٢٤ وكفاية الطالب: ٣١٠ والفصول المهمة: ٢٢٣ ـ ٢٢٤ والصواعق المحرقة: ١٢٢ وبحار الأنوار: ٤٨/٢٨٣ ـ ٢٨٧ ونور الأبصار: ١٣٩.

(٣٩) المناقب: ٢/٣٨٣.

(٤٠) تذكرة الخواص: ٣٦٠ والبداية والنهاية: ١٠/١٨٣.

(٤١) تاريخ اليعقوبي: ٣/١٤٥ ومطالب السؤول: ٢/٦٥ وسير أعلام النبلاء: ٦/٢٧٤ وعمدة الطالب: ١٨٥ وبحار الأنوار: ٤٨/٢٨٨ ـ ٢٨٩ وينابيع المودة: ٣٨٣.

٥ ـ اسماعيل.
٦ ـ جعفر.
٧ ـ الحسن.
٨ ـ الحسين.
٩ ـ حمزة.
١٠ ـ داوود.
١١ ـ زيد.
١٢ ـ سليمان.
١٣ ـ العباس.
١٤ ـ عبدالرحمن.
١٥ ـ عبدالله.
١٦ ـ عبيدالله.
١٧ ـ عقيل.
١٨ ـ علي (الرضا).
١٩ ـ الفضل.
٢٠ ـ القاسم.
٢١ ـ محمد.
٢٢ ـ هارون.
٢٣ ـ يحيى[٤٢].

★★★

(٤٢) رجعنا في إعداد هذه القائمة الى: الارشاد: ٣٢٤ والمناقب: ٢/٣٨٣ وعمدة الطالب: ١٨٥ والفصول المهمة: ٢٢٣ ونور الأبصار: ١٣٩. ويراجع في هذه المصادر أسماء البنات أيضاً.

وكما عانى سلفه الصالح من أهل البيت منذ نعومة أظفارهم
م قسوة الحاكمين الطغاة خلفاء الجور وسلاطين الظلم، فقد
ى الامام موسى بن جعفر مثل ذلك منذ أيام طفولته ومطلع
ساه؛ يوم تسلّط على رقاب المسلمين ابو جعفر المنصور ثاني
كام العباسيين؛ الذي امتدَّ عهد ملكه من سنة ١٣٦ هـ الى سنة
١هـ. وكان عهداً عجيباً في ظلمه وظلامه في تاريخ الاسلام؛
حفل من ألوان المآسي؛ وحمل من ضروب المظالم والوقائع
ود، وكما قال الدكتور حسين مؤنس وهو يستعرض تلك الحقبة
سنية القاتمة مقارناً اياها بما سبقها من حقبة بني امية:

«ان ما وقع على الناس من المظالم أيام بني العباس كان أهول
وأبشع، ولقد قتل أبو العباس السفاح وأعمامه الوفاً كثيرة ظلماً
وعدواناً. وجاء أخوه أبو جعفر المنصور فقتل من الناس أكثر،
وكان في جملة المقتولين أعمامه، وهانت الدماء على رجال بني
العباس؛ حتى ان الانسان ليترحم على أيام الجاهلية»[٤٣].

لقد عاش هذا الفتى ـ وهو في الثانية عشرة من العمر ـ مأساة
سجن أبناء عمومته الحسنيين وقَتْل بعضهم في سنتي ١٣٩ ـ
١٤٠هـ، ثم عاصر خروج محمد بن عبدالله بن الحسن المعروف
بالنفس الزكية واخيه ابراهيم من بعده؛ وثورتهما الدموية على
المنصور، ومارافق هاتين الثورتين وما تلاهما من قتل عددٍ غير قليل

(٤٣) مجلة اكتوبر المصرية / العدد ٣٣٤/ ٢٠ مارس ١٩٨٣م/ الحلقة الرابعة من بحث متسلسل له بعنوان «ظلمات بعضها فوق بعض».

من أبناء الحسن وأنصارهم وأعوانهم، في جملة ضحايا تلك المجزرة الانسانية الفظيعة التي حلَّت بمسلمي المدينة المنورة، وما صاحب ذلك من المحن التي ألَمَّت بالناس بلا فرز ولا تمييز.

ومع ان الامام جعفر الصادق (ع) ـ كما يعلم الخليفةُ حقَّ العلم ـ لم يبارك ثورة النفس الزكية ولم يشارك فيها، وكذلك لم يشارك ولم يبارك ثورة أخيه ابراهيم، فقد شمله ومعظمَ أفرادِ عائلته ذلك البلاءُ الطاغي والارهاب الأسود، وقد حدَّث الصادق (ع) واصفاً ما أصابه وأهلَ بيته بعد مصرع ابراهيم فقال في جملة حديثه: «حُشِرنا من المدينة فلم يُتْرَك فيها منّا محتلمٌ حتى قدمنا الكوفة، فمكثنا فيها شهراً، نتوقع فيها القتل ـ الى آخر ما قال»[44]، وكان في هذا التسيير وذلك الاعتقال ما كان من ضروب الاذى والاضطهاد والهوان، مما رآه الامام موسى بن جعفر بأمِّ عينيه؛ وعاشه ساعة بعد ساعة، لأنه كان بطبيعة الحال ممن شمله الحشر من المدينة الى الكوفة؛ وممن ذاق ما ترتب على هذا الحشر من ويلات وآلام.

ثم كان من بين تلك المظالم الكبرى التي حفل بها عهد المنصور قبل ثورة الأخوين وبعدها؛ ما أصاب الامام الصادق (ع) من استبداد الحاكم الظالم وجوره، إذ استدعاه مكرراً الى العراق؛ الى الحيرة يوم كان المنصور فيها؛ والى الهاشمية حين انتقل اليها، وقيل الى بغداد أيضاً[45]، وكلها استدعاءات دالة على عداء دفين وطويَّة

(٤٤) مقاتل الطالبيين: ٣٥٠ ـ ٣٥١.
(٤٥) يراجع كتابنا: الامام جعفر الصادق: ٧٤ ـ ٧٥.

خبيثة ونفس أمّارة بالسوء وزخّارة بالضغينة. وقد عاش الامام موسى بن جعفر (ع) كل ذلك يوماً بيوم ورحلة بعد اخرى، وهو قلقٌ أشد القلق على أبيه من مكايد السلطان ومضمراته السيئة.

ثم كانت خاتمة مطاف المنصور في أفاعيله تجاه الامام الصادق (ع) قتله بالسم تنفيساً عن غيرته القاتلة وحقده المكبوت، فيما حدثت به بعض الروايات التاريخية التي نسبت هذا العمل الشنيع للخليفة نفسه؛ بالتصريح في بعضها، وعلى نحو الاحتمال في بعضٍ آخر[46].

وتقول احدى الروايات: ان المنصور لما بلغه خبر وفاة الامام الصادق أسرع بالكتابة الى واليه على المدينة: يأمره «إنْ كان أوصى الى رجل بعينه فقدِّمه واضرب عنقه»، فبحث الوالي في الأمر ودقّق، ثم كتب الى خليفته: انه أوصى الى خمسة: أبي جعفر المنصور ـ الخليفة ـ ومحمد بن سليمان ـ الوالي ـ وابنيه موسى وعبدالله وحميدة ام موسى[47]. وهكذا حمى الله وليَّه موسى من القتل ببركة فطنة أبيه وبُعد نظره في إشراك هؤلاء الخمسة في وصيته الظاهرية المعلنة على الملأ، وإن كان المنصور لم يكتف بذلك ولم يرتدع به، وانما بقي يتابع هذه المسألة لبعض الوقت فيما روى هشام ابن سالم في حديثٍ له؛ إذ ذكر انه كان للمنصور «بالمدينة

(٤٦) مروج الذهب: ٣/٢١٢ وشرح نهج البلاغة: ١٥/٢٣٨ وتذكرة الخواص: ٣٥٦ والفصول المهمة: ٢١٢ والصواعق المحرقة: ١٢١ وغيرها من المصادر التي تقدَّم ذكرها بالتفصيل في بحثنا المعنيِّ بالامام الصادق.
(٤٧) بحار الأنوار: ٤٧/٣.

جواسيس على من يجتمع بعد جعفرٍ اليه الناسُ فيؤخذ فتضرب عنقه»[٤٨].

وخلاصة القول: لقد عاش الامام موسى بن جعفر (ع) منذ نشأته الاولى كلَّ هذه المآسي والآلام؛ وعاصرها حدثاً حدثاً وألماً تلو ألم، ولكنه ـ كآبائه الأئمة المهتضمين ـ لم يُرعَب بجميع ذلك؛ ولم يتهيَّب المسيرة وما تنطوي عليه من شدائد ومحن، بل كان لسان حاله ـ وهو يستقبل المكاره ـ ما أُثِر عن جده الحسين (ع) يوم الطف إذ قال مخاطباً ربَّه: «هوِّن عليَّ ما نزل بي أنه في سبيلك».

وبهذه النفس الشمّاء الزاخرة بالصبر والتحمل والثبات؛ والشامخة بمشاعر وجوب القيام بالمسؤولية الكبرى مهما كانت الظروف، استقبل موسى بن جعفر عهد إمامته الشرعية، ورحلة ولايته الدينية، وهو يعرف منذ البداية حقَّ المعرفة جميع معوِّقات الانطلاق وأخطار المسير وأشواك الطريق.

(٤٨) الارشاد: ٣١١.

الإمام موسى بن جعفر
بين
إمامته وشهادته

«في عام ١٤٨هـ خلت الساحة الاسلامية من إمامها الشرعي المفترض الطاعة بوفاة جعفر بن محمد الصادق ـ ع ـ».

وتلفت المسلمون الملتزمون بأحكام دينهم يميناً ويساراً بحثاً عن الامام الجامع للشرائط الشرعية المقررة في الامامة؛ فلم يجدوا من تجتمع فيه تلك الشروط والمواصفات كالامام موسى بن جعفر ـ ع ـ، بل لم يكن من هو أهل لها غيره على وجه الحصر والتعيين».

«وعاصر هذا الامام خلال مدة إمامته الشرعية أربعة من الخلفاء العباسيين هم المنصور والمهدي والهادي والرشيد، ولقي منهم ما لقي من ضروب العنت والظلم والتنقل في السجون والمعتقلات؛ حتى طغى الكيل في نفس الحاكم فلم يجد سبيلاً للتنفيس عن حقده الأسود غير دسِّ السم اليه؛ فكان في ذلك شهادته وذهابه الى ربه».

في عام ٤٨ ١هـ خلت الساحة الاسلامية من إمامها الشرعي المفترض الطاعة بوفاة جعفر بن محمد الصادق ـ ع ـ، الذي اختاره الله تعالى الى جواره في شهر شوال من هذا العام، فانتقل الى أعلى علّيين مع النبيين والصدّيقين، وحسن اولئك رفيقا.

وكان لامناص للمسيرة الاسلامية ـ كما ألزم قائدها الرسول الأعظم (ص) ـ من وجود إمام مفترض الطاعة في كل عصر وزمان حتى قيام الساعة، يقتدي الناس به ويهتدون بهديه؛ ويستضيؤون بنور علمه ومشكاة فضله؛ ويتقربون الى الله تعالى بمعرفته معرفة الاقرار والتصديق والاتّباع، لأن «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية»[1] كما جاء في لفظ الحديث الشريف، بداهة أن ليس المراد من هذا النص مجرد معرفة اسم الامام ومحض التحقق من رسم املائه وحروف هجائه، وانما هو العمل الدقيق بجميع توجيهاته وتعليماته؛ والسير الأمين على هدى منهجه ومواقع خطاه.

وتلفّت المسلمون الملتزمون بأحكام دينهم ـ يميناً ويساراً ـ بحثاً عن الامام الجامع للشرائط الشرعية المقررة في مواصفات الامامة

---

(١) يراجع في هذا الحديث: صحيح مسلم: ٦/٢٢ ومسند أحمد: ٣/٤٤٦ و٤/٩٦ والكافي: ١/٣٧٦ والمعجم الكبير: ١٩/٣٨٨ ومجمع الزوائد: ٥/٢١٨ و٢٢٤ و٢٢٥.

وضـوابطهـا العامـة والخاصـة، فلـم يجـدوا مَنْ تجتمـع فيـه تلك الضوابط والمواصفات كالامام موسى بن جعفر ـ ع ـ، بل لم يكن مَنْ هو أهل لها غيره على وجه الحصر والتعيين.

وكان الدليل الأول على انحصار الامامة به دون سـواه: نصّ أبيه عليه ـ وهو الامام المسلَّم الامامة لدى جميع المسلمين كما تقدم بيانه بالتفصيل في كتابنا «الامام جعفر الصادق ـ ع ـ». وإن قراء التاريخ الاسلامي ومواكبي أحداثه منذ الخلافات الاولى يعلمون علم اليقين ان نصّ السلف على الخلف كـان الدليـل الأكبر بـل الأوحد الذي احتج به مصححـو تلك الخلافـات؛ برهـاناً عـلى صحتها ووجوب الأخـذ بها والاذعـان لها، حتى وإن لم يتـوفر في الخليفـة اللاحق المنصـوص عليه من سلفـه أي شرط من شروط الاستحقاق التي ذكرها الفقهاء في بيان مؤهّلات المرشَّح لتقمُّص الولاية الشرعية.

وقد تمثَّل نصُّ الامام الصادق عـلى ابنه في مجمـوعة وافـرة من الروايات المصرَّحة بلا لبسٍ أو إبهام بتعيين ابنـه موسى إمـاماً من بعده للمسلمين، وشـارك في نقلها وسـماعها عـددٌ غير قليـل من أصحـاب الامام الصـادق ـ ع ـ المقرَّبـين؛ وخـاصَّتـه الثقـات المعروفين؛ وأولاده الفقهاء الصالحين[2].

(٢) الكافي: ١/٣٠٧ ـ ٣١١ والارشاد: ٣٠٧ ـ ٣٠٨ والمناقب: ٢/٣٨٢ وشرح نهج البـلاغة: ١٥/٢٩٠ وبحـار الأنوار: ٣٦/٤٠١؛ و٤٧/٢٥١ و٢٥٣ و٢٦١ و٣٤٣؛ و٤٨/١٢ ـ ٢٧.

وجليٌّ كل الجلاء لمن عرف الامام الصادق حق المعرفة أن نصَّه على ابنه موسى بالامامة واختياره من بين اخوته لهذا المركـز الديني الخطير؛ لم يكن عملاً من أعـمال الحب الأبـوي الأعمى والمـودة الطاغية والعاطفة المتغلِّبة، وانما هو جزء لا يتجزَّأ ـ كما في جميع ما ورد عن الأئمـة المنتجبين (ع) في مجمـل أقـوالهم وأفعـالهم ـ من مواريثهم المتداولة فيما بينهم عن أسلافهم الطاهـرين؛ روايةً عن جدهم الأمين الناطق بالوحي والمطَّلع على الغيب، وقد أثر بعض ذلـك عن لفظ النبي (ص) أيضاً فيـما تسرَّب على لسـان الناقلين والمحـدِّثين من غـير أهل البيت، عـلى الرغم من جهـود الأعداء وتبانيهم على كتمان تلك الروايات الصريحة المأثورة وإخفاء أمرهـا عن جماهير المسلمين.

ومن أمثلة ذلك وشواهده ما رواه الشيخ القندوزي الحنفي عن ابن عباس عن النبي ـ ص ـ من تسمية الأئمة من بعده واحداً بعد واحد؛ وذكر فيهم موسى بن جعفر ـ ع ـ. وما رواه ايضاً عن جابر ابن عبدالله الأنصاري من تسمية رسول الله ـ ص ـ لـلأوصياء من بعده؛ ومنهم موسى بن جعفر الذي يُدْعى بالكاظم[3].

وهذه النصوص المحمدية الشريفـة التي ورد فيها اسم مـوسى بـين الأئمة الـذين ذكرت أسـماؤهم فيها بـالتفصيـل؛ لم تكن الا التأكيد والتأييد على نحوٍ قاطع لما قال الرسول الأعظم ـ ص ـ أيضاً

(٣) ينابيع المودة: ٤٤١ ـ ٤٤٣.

واتفق المسلمون على روايته عنه من كونهم «اثنى عشر»[٤] اماماً، كما انها تقف جنباً الى جنب مع باقي أحاديث الامامة والأئمة لتوضح بما لا مزيد عليه ماذا أراد النبي ـ ص ـ بيانه وإفهامه للناس لما أعلمهم بأنه تارك فيهم الثقلين كتاب الله والعترة أهل بيته ؛ وأنهم لن يضلوا مادامو متمسكين بهما[٥]. وإنها بنفسها لهي العترة الطاهرة المطهرة التي عناها سيد المرسلين وخاتم النبيين حينما قال فيما أخرجه عنه الحافظ أبو نعيم بسنده: «مَنْ سرَّه أن يحيا حياتي ويموت مماتي ويسكن جنَّةَ عدنٍ غرسها ربي ؛ فليوالِ علياً من بعدي وليوالِ وليَّه ؛ وليقتدِ بالأئمة من بعدي، فانهم عترتي، خُلقوا من طينتي، رُزقوا فهماً وعلماً. وويل للمكذبين بفضلهم من امتي ؛ للقاطعين فيهم صلتي، لا أنا لهم الله شفاعتي»[٦].

☆ ★ ★

ومع ان ذلك كله ثابت وصحيح ومتفق عليه بين المسلمين، بل فيه ما هو بالغ حدَّ التواتر المسلَّم، فاننا نجد ـ كما هو ماثل في كتب

(٤) صحيح البخاري: ٩/٧٨ و١٠١ وصحيح مسلم: ٦/٣ و٤ وسنن الترمذي: ٤/٥٠١ وسنن أبي داود: ٢/٤٢١ ومسند أحمد: ٢/١٢٨ و٣/١٢٩ و١٨٣ و٤/٤٢١ و٥/٨٦ ـ ١٠٨ ومواضع كثيرة في معجم الطبراني الكبير: ٢/٢١٤ ـ ٢٨٦. ونُصَّ على صحة هذا الحديث وتواتره في الفصل: ٤/٨٩ والصواعق المحرقة: ٦.

(٥) صحيح مسلم: ٧/١٢٢ وسنن الترمذي: ٥/٦٦٢ و٦٦٣ ومسند أحمد: ٣/١٤ و١٧ و٢٦ و٥٩ و٤/٣٦٧ و٥/١٨٢ و١٨٩ وحلية الأولياء: ١/٣٥٥ والصواعق المحرقة: ٨٩ ـ ٩٠.

(٦) حلية الأولياء: ١/٨٦.

الأحكام السلطانية والتاريخ ـ ان هناك اناساً من غير العترة الطاهرة قد ادعوا الخلافة وارتدوا جلبابها زاعمين أنهم الولاة والأئمة الشرعيون، كما نجد أن الكثرة الكاثرة من عامة الناس قد استسلموا لذلك الادعاء ولم يعلنوا اعتراضهم على هذا الزعم. فهل كان اولئك المدَّعون صادقين فيما أوهموا الناس به؟، وهل كانوا حقاً كذلك وكما افترضهم وعاظ السلاطين؟، وهل اجتمعت فيهم الصفات المطلوبة ـ وفي طليعتها كونهم أفقه أهل زمانهم والأعدل والأفضل من غيرهم ـ ليكونوا خلفاء بالمصطلح الديني الخاص بالولاية والامامة؟.

انها لأسئلة حائرة مازالت تدور في الأذهان؛ على مرِّ العصور والأزمان، ولم نقف فيما كتب الكاتبون وحرَّر المدافعون والتوفيقيون ؛ على ما يصلح أن يعدَّ الجواب المقنع الشافي الذي يزيل الغموض ويرفع الحيرة ويكشف الابهام ويهدي الى سواء السبيل.

ومادام الأمر مضبَّب الأجواء ومبهم المعالم كما أسلفنا؛ فان الجدير بنا حرصاً على تجلية الحقيقة وكشف الحجب؛ واطمئناناً الى التثبُّت من معرفة ما كان عليه أمر هؤلاء الزاعمين في مجمل حالهم ؛ كما رواه مشاهير المؤرخين ـ وإن كنّا نعتقد أنهم لم يسجلوا كلَّ ما بلغهم خبره من ذلك ـ، أن نقف متمهِّلين لنستعرض الخطوط العامة لسِيَر اولئك الحكّام، لتحديد مدى التزامهم بتعاليم الدين وأخلاق الشرع وواجبات الحاكم المسلم في إشاعة الأمن والعدل

وتطبيق الأحكام والقواعد المقرَّرة، ولنتبيَّن في ضوء جميع ذلك ما يصح وما لا يصح أن يقال بشأنهم؛ من تحقق شروط الولاية الشرعية؛ وانطباق مواصفات الامامة الدينية.

١ ـ المنصور (عبدالله بن محمد):

تملَّك لليالٍ خلون من ذي الحجة سنة ١٣٦هـ، ومات لست خلون من ذي الحجة سنة ١٥٨هـ[٧]، وكانت أيامه كلها حافلة بالقتل والبطش والقسوة والتنكيل، وقد «قتل خلقاً كثيراً حتى استقام ملكُه» كما يقول السيوطي[٨]، ولم يسلم من غدره وبطشه حتى أقرب الناس اليه من أعمام وقوّاد وأصحاب، كعمه عبدالله ابن علي؛ وباني الدولة أبي مسلم الخراساني؛ وغيرهما من الخاصة والمقرَّبين.

وهو الذي أمر بضرب أبي حنيفة النعمان بن ثابت، ثم سجنه فمات بعد أيام، «وقيل: انه قتله بالسم»[٩]، كما قيل انه قتل الامام جعفر الصادق بالسم أيضاً[١٠].

(٧) تاريخ اليعقوبي: ٣/١٠٠ و١٢٢ وتاريخ الطبري: ٨/٦٠ ومروج الذهب: ٣/٢٠٩.
(٨) تاريخ الخلفاء: ١٧٢.
(٩) المصدر نفسه: ١٧٢.
(١٠) كتابنا الامام جعفر الصادق: ٨٣ ـ ٨٤.

كما أنه القاتل لمحمد النفس الزكية واخيه ابراهيم في سنة ١٤٥هـ، بعد أن قام قبل ذلك بحبس أبيهما عبدالله بن الحسن وأهليهم جميعاً وسائر من يمت اليهم بصلة نسبٍ أو سبب «وهم مقيَّدون في كبلٍ وغلّ»[١١] حتى ماتوا في السجن، «وقيل: انهم وُجِدوا مسمَّرين في الحيطان»[١٢]، وكان من أمثلة فظائعه مع بعضهم انه «أمر باسطوانةٍ مبنيَّة ففُرِّغتْ، ثم أُدخل فيها محمد بن ابراهيم بن الحسن فبُنِيَ عليه وهو حي»[١٣]. والعجيب الغريب ان المنصور قد فعل كل هذه الأفاعيل بهؤلاء العلويين، بعد أن سبقت منه ومن أهل بيته البيعة لمحمد بن عبدالله أيام الإعداد للثورة على بني امية؛ وبعد أن سلَّم له القياد باجماع المؤرخين[١٤]، ولكن الملك عقيم؛ وإغراءه للنفس الأمّارة قاهر.

وروى الطبري: ان المنصور بعد شهادة النفس الزكية وأصحابه أمر «بالبحر فأُقفل على أهل المدينة، فلم يُحْمَل اليهم من ناحية البحار شيء، حتى كان المهدي فأمر بالبحر ففتح لهم»[١٥]، كما انه كتب الى واليه على البصرة يأمره بهدم دور مَنْ خرج مع

(١١) تاريخ الطبري: ٧/٥٤٠ و٥٤٢ و٥٥٠.
(١٢) تاريخ اليعقوبي: ٣/١٠٦.
(١٣) تاريخ الطبري: ٧/٥٤٦.
(١٤) يراجع في تفاصيل ذلك: مقاتل الطالبيين: ٢٠٦ ـ ٢٠٨ و٢٥٥ ـ ٢٥٦ والارشاد: ٢٩٥ ـ ٢٩٦ والفخري: ١٤١ ـ ١٤٢.
(١٥) تاريخ الطبري: ٧/٦٠٣.

ابراهيم وبعقر نخلهم»[16]، مع أن القرآن الكريم الذي يدّعي المنصور احترامه والعمل به يعلن ﴿ألاّ تزِر وازِرةٌ وِزْرَ اخرى﴾؛ ولكن الحقد الأعمى والضغن الأسود يُفقدان صاحبهما صواب الرؤية وسلامة التصرف ويصدّانه عن تحكيم الشرع واتّباع القرآن الكريم.

وروى السيوطي فيما روى من أخبار المنصور: انه لم يكن «يظهر لندمائه بشربٍ ولا غناء، بل يجلس وبينه وبين الندماء ستارة، وبينهم وبينها عشرون ذراعاً، وبينها وبينه كذلك»[17]، ولكنه لم يوضح السبب في وضع تلك الستارة والأذرع الفاصلة، وربما كان ذلك بدافع الحياء من ندمائه!!.

ثم روى السيوطي أيضاً في اخبار المنصور: ان ابن هرمة الشاعر ـ وكان مدمناً شرّيباً للخمر ـ دخل عليه يوماً، فقال له المنصور: «ما حاجتك؟ قال: تكتب الى عاملك بالمدينة أن لا يحدّني اذا وجدني سكران، فقال: لا أُعطّل حدّاً من حدود الله، قال: تحتال لي، فكتب الى عامله: مَنْ أتاك بابن هرمة سكران فاجلده مائة واجلد ابن هرمة ثمانين» فكان من يراه سكران يقول: من يشتري مائة بثمانين، ثم يتركه ويمضي[18].

(١٦) تاريخ الطبري: ٧/٦٥٥.
(١٧) تاريخ الخلفاء: ١٧٩.
(١٨) تاريخ الخلفاء: ١٧٨.

٢ ـ المهدي (محمد بن عبدالله):

تملّك بعد وفاة أبيه في أواخر شهر ذي الحجة سنة ١٥٨هـ، ومات لأيامٍ بقين من المحرم سنة ١٦٩هـ[19].

وبادر ـ وقد شاهد ما كان يفعله أبوه من مظالم الناس وألوان الاساءة الى جماهير المسلمين ـ فـ«افتتح أمره بالنظر في المظالم؛ والكفّ عن القتل؛ وأمْن الخائف؛ وإنصاف المظلوم»[20]، وكان من ذلك ردُّ عَيْنْ أبي زياد التي صادرها المنصور من الامام الصادق (ع)؛ فأعادها المهدي الى ولده[21].

ومع أن هذا الخليفة ـ كما أسلفنا ـ قد افتتح عهده باطلاق السجناء وانصاف المظلومين، فان الطالبيين بالخصوص لم يكونوا من اولئك المشمولين بالأمن والانصاف، بل تحملوا ما تحملوا من أذاه وبطشه وعدائه الدفين المستحكم، فكانت له مواقف سوء حاقدة مع الامام موسى بن جعفر (ع) ـ ومنها السجن ـ كما يأتي، كما كانت له مواقف مشابهة مع عددٍ غير معروف من ذرية عليٍّ وفاطمة (ع) لم يتورع فيها عن كل ضروب الجور والشر والقتل المتعمّد، ويكفينا مثلاً على ذلك ما رواه الطبري عن الوزير يعقوب ابن داود قال:

(١٩) تاريخ اليعقوبي: ٣/٣٤ وتاريخ الطبري: ٨/١٠٩ و١٧١ ومروج الذهب: ٣/٢٣٣.
(٢٠) مروج الذهب: ٣/٢٣٦.
(٢١) تاريخ الطبري: ٧/٦٠٣.

«بعث إليَّ المهدي يوماً فدخلتُ عليه، فاذا هو في مجلس مفروش. . . . على بستان فيه شجر. . . . واذا عنده جارية ما رأيتُ أحسن منها. . . . فقال لي: يا يعقوب؛ كيف ترى مجلسنا هذا؟ قلتُ: على غاية الحسن. . . . فقال: هو لك؛ احمله بما فيه وهذه الجارية، . . . . فدعوتُ له بما يجب. ثم قال: يا يعقوب؛ ولي اليك حاجة. . . . فقلتُ: الأمر لأمير المؤمنين وعليَّ السمع والطاعة. قال: واللهِ؟ قلتُ: واللهِ؛ ثلاثاً، قال: وحياة رأسي؟ قلتُ: وحياة رأسك، قال: فضع يدك عليه واحلف به، قال: فوضعتُ يدي عليه وحلفتُ له به لأعملنَّ بما قال. . . . فلما استوثق مني في نفسه قال: هذا فلان بن فلان من ولد عليّ أُحبُّ أن تكفيني مؤونته وتريحني منه وتعجِّل ذلك. قال: قلتُ أفعلُ، قال: فخذه اليك. فحوَّلتُه إليَّ وحوَّلتُ الجارية وجميع ما كان في البيت من فرش وغير ذلك، وأمر لي معه بمائة ألف درهم. . . . فلشدَّة سروري بالجارية صيَّرتُها في مجلس بيني وبينها ستر، وبعثتُ الى العلوي، فأدخلتُه وسألتُه عن حاله. . . . واذا هو ألَبُّ الناس وأحسنهم إبانة. . . . وقال لي في بعض ما يقول: ويحك يا يعقوب؛ تلقى اللهَ بدمي وأنا رجل من ولد فاطمة بنت محمد، قلتُ: لا والله؛ فهل فيك خير؟ قال: إن فعلتَ خيراً شكرتُ لك. . . . فقلتُ له: أيُّ الطرق أحبُّ اليك؟ قال: طريق كذا وكذا قلتُ: فمَنْ هناك من تأنس به وتثق بموضعه؟ قال: فلان وفلان، قلتُ: فابعث اليهما وخذ هذا المال وامض معهما. . . .

واذا الجارية قد حفظت عليَّ قولي، فبعثتْ به مع خادم لها الى المهدي. . . . وبعث المهدي من وقته ذاك فشحن تلك الطرق. . . . فلم يلبثوا أن جاؤه بالعلوي بعينه وصاحبيه والمال».

«قال يعقوب: وأصبحتُ من غد ذلك اليوم فاذا رسول المهدي يستحضرني. . . فقال: يا يعقوب؛ ما حال الرجل؟ قلت: يا أمير المؤمنين قد أراحك الله منه، قال: مات؟ قلت: نعم، قال: واللهِ؟، ثم قال: قم فضع يدك على رأسي، قال: فوضعتُ يدي على رأسه وحلفتُ له به. قال: يا غلام؛ أخرج الينا ما في هذا البيت، قال: ففتح بابه عن العلوي وصاحبيه والمال بعينه. قال: فبقيتُ متحيِّراً وسقط في يدي. . . فقال المهدي: لقد حلَّ لي دمك لو آثرتُ إراقته، ولكن احبسوه»[٢٢].

ولهذه التصرفات الظالمة والأعمال الخارجة على كتاب الله وسنة رسوله أهمل أهلُ الدين المهديَّ وأباه، فلم يروعنهما راوٍ؛ ولم يرجع اليهما مسلم في فتوى، وقال الذهبي: «ما علمتُ أحداً احتجَّ بالمهدي ولا بأبيه في الأحكام»[٢٣]، وذلك طبيعي جداً بعد تسليم الجميع بكونهما من الجهلة بالشريعة والمخالفين للكتاب والسنة قولاً وعملاً وسلوكاً وتطبيقاً.

(٢٢) تاريخ الطبري: ٨/١٥٧ ـ ١٥٩.
(٢٣) تاريخ الخلفاء: ١٨٥.

وذكر المؤرخون ان المهدي «أول من ظهر للندماء من خلفاء بني العباس»[٢٤]، ورووا أنه كان «لا يشرب النبيذ؛ لاتحرُّجاً؛ ولكنه كان لا يشتهيه، وكان أصحابه.. ومواليه يشربون عنده بحيث يراهم»[٢٥].

٣ ـ الهادي (موسى بن محمد):

تملَّك لسبع بقين من المحرم سنة ١٦٩هـ، ومات لليالٍ بقين من شهر ربيع الأول سنة ١٧٠هـ[٢٦].

وجاء في التعريف به: انه كان «قاسي القلب، شرس الأخلاق، صعب المرام»[٢٧]، وانه «كان يتناول المسكر»[٢٨]، و«يلعب، ويركب حماراً فارهاً، ولا يقيم ابهة الخلافة» و«كان جباراً، وهو أول من مشت الرجال بين يديه بالسيوف المرهفة»[٢٩].

وذكر اليعقوبي: «ان موسى ألحَّ في طلب الطالبيين، وأخافهم خوفاً شديداً... وكتب الى الآفاق في طلبهم»[٣٠]، وكان من آثار

(٢٤) تاريخ الخلفاء: ١٧٩.
(٢٥) تاريخ الطبري: ٨/١٦٠.
(٢٦) تاريخ اليعقوبي: ٣/١٣٩ وتاريخ الطبري: ٨/٢٠٥ و٢١٣ ومروج الذهب: ٣/٢٤٦.
(٢٧) مروج الذهب: ٣/٢٤٦.
(٢٨) تاريخ الطبري: ٨/٢٢٢ و٢٢٣ و٢٢٧ وتاريخ الخلفاء: ١٨٦.
(٢٩) تاريخ الخلفاء: ١٨٦.
(٣٠) تاريخ اليعقوبي: ٣/١٣٧.

ذلك وردٌ فعله المتوقَّع قيام الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ـ ع ـ بانتفاضته في سنة ١٦٩هـ وارسال الخليفة جيشاً لقمعها، حيث استطاع جيش السلطان التغلب على الموقف وقتل الحسين المذكور ومن معه في «فَخّ» على ستة أميال من مكة المكرمة؛ وإبقاءهم ثلاثة أيام على وجه الأرض بلا دفن[٣١]، وقد احتُزَّت رؤوسهم فكانوا مائة رأس ونيفاً[٣٢].

٤ ـ الرشيد (هارون بن محمد):

تملَّك صبيحة الليلة التي مات فيها أخوه الهادي؛ وذلك لليالٍ بقين من شهر ربيع الأول سنة ١٧٠هـ، ومات لليالٍ خلون من جمادى الاولى أو الآخرة سنة ١٩٣هـ[٣٣].

وكان من بواكير اجراءاته الادارية: أمره «باخراج من كان في مدينة السلام من الطالبيين الى مدينة الرسول ـ ص ـ»[٣٤]. ثم كان له معهم عامةً ومع سيدهم وإمامهم موسى بن جعفر (ع) خاصةً؛ من ضروب الجرائم وألوان المظالم؛ ما أنسى ما فعله سلفه من الحكام، مما يأتي بيانه مفصلاً في موضعه من البحث.

(٣١) تاريخ اليعقوبي: ٣/١٣٧ ومروج الذهب: ٣/٢٤٨.
(٣٢) تاريخ الطبري: ٨/١٩٢ ـ ١٩٧.
(٣٣) تاريخ اليعقوبي: ٣/١٣٩ و١٦٠ وتاريخ الطبري: ٨/٢٣٠ ومروج الذهب: ٣/٢٥٧.
(٣٤) تاريخ الطبري: ٨/٢٣٥.

وأخرج السلفي في الطيوريات بسنده عن ابن المبارك قال:

«لما أفضت الخلافة الى الرشيد وقعت في نفسه جارية من جواري المهدي، فراودها عن نفسها فقالت: لا أصلح لك؛ ان أباك قد طاف بي. فشغف بها فأرسل الى أبي يوسف فسأله: أعندك في هذا شيء؟، فقال: يا أمير المؤمنين! أو كلما ادَّعتْ أَمَةٌ شيئاً ينبغي أن تُصَدَّق؟ لاتُصَدِّقها فانها ليست بمأمونة».

«قال ابن المبارك: فلم أدر ممن أعجب: من هذا الذي قد وضع يده في دماء المسلمين وأموالهم يتحرج عن حرمة أبيه. أو من هذه الأَمَة التي رغبتْ بنفسها عن أمير المؤمنين. أو من هذا فقيه الأرض وقاضيها قال: اهتكْ حرمة أبيك واقضِ شهوتك وصَيِّرْه في رقبتي»[٣٥].

ولخَّص السيوطيُّ ـ روايةً عن الذهبي ـ مجمل ما يمكن تعريف الرشيد به؛ فذكر انه صاحب أخبار وحكايات «في اللهو واللذات المحظورة والغناء»[٣٦].

★★★

ومن حقنا المشروع بعد هذه الوقفة العجلى على سِيَر مدَّعي الخلافة الاسلامية والولاية الدينية في تلك الحقبة الزمنية التي نعنى بها هنا، وبمعونة التأمل الواعي لما قال فيهم المؤرخون وحدَّث عنهم الحفّاظ وروى بشأنهم الرواة، أن نتساءل بألمٍ ومرارة عن سلَّة

(٣٥) تاريخ الخلفاء: ١٩٣.
(٣٦) تاريخ الخلفاء: ١٨٩ ـ ١٩٠.

المهملات التي أُلقيت فيها شروط الامامة ومواصفاتها المقرَّرة المتَّفق على وجوب اجتماعها في متبوِّىء هذا المركز الخطير؟.

واذا كانت كلمات السلف ورواياتهم في هؤلاء المدَّعين كما تقدم؛ وقد نقلنا منها بعضها وعرضنا غيضاً من فيضها، فماذا قال اولئك السلف في موسى بن جعفر؛ فقهاً وديناً وخلقاً وسلوكاً؟.

ذلك ما لابد من عرضٍ سريع لمجملٍ منه؛ يوضح الصورة؛ ويبيِّن الصواب؛ ويظهر الحقيقة جلية لكل ذي عينين ولكل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

موسى بن جعفر

علمه وفقهه:

قال أبو حاتم: «ثقة أمين صدوق، إمام من أئمة المسلمين»[٣٧].

وقال المفيد: «كان أعبد أهل زمانه وأورعهم وأجلهم وأفقههم»[٣٨].

وقال السروي: «كان أفقه أهل زمانه وأحفظهم لكتاب الله»[٣٩].

(٣٧) منهاج السنة: ٢/٢٤ و١٢٤ وسير أعلام النبلاء: ٦/ ٢٧٠ وتهذيب التهذيب: ١٠/ ٣٤٠ وشذرات الذهب: ١/ ٣٠٤.
(٣٨) الارشاد: ٣٠٧.
(٣٩) المناقب: ٢/ ٣٨٣.

وقال ابن طلحة الشافعي : «الامام الكبير القدر العظيم الشأن المشهور بالكرامات»[٤٠].

وقال الذهبي : هو «الامام القدوة»[٤١].

وقال ابن الصباغ المالكي : «الامام الكبير القدر، والأوحد الحجة الحبر»[٤٢].

وقال ابن تغرى بردى : «كان سيداً عالماً فاضلاً سنياً جواداً ممدَّحاً مجاب الدعوة»[٤٣].

وعلى هذه الشاكلة كانت كلمات جميع من تحدَّث عنه وترجم له، ولخَّص ذلك كله ابن حجر العسقلاني بقوله : «مناقبه كثيرة»[٤٤].

عبادته وورعه :

قال اليعقوبي : «كان موسى بن جعفر ـ ع ـ من أشدِّ الناس عبادة»[٤٥].

(٤٠) مطالب السؤول : ٢/٦١.
(٤١) سير أعلام النبلاء : ٦/٢٧٠ والعبر : ١/٢٢٢.
(٤٢) الفصول المهمة : ٢١٣.
(٤٣) النجوم الزاهرة : ٢/١١٢.
(٤٤) تهذيب التهذيب : ١٠/٣٤٠.
(٤٥) تاريخ اليعقوبي : ٣/١٤٥.

وروى المفيد : «انه كان يصلّي نوافل الليل ويصلها بصلاة الصبح، ثم يعقِّب حتى تطلع الشمس، ويخر لله ساجداً فلا يرفع رأسه من الدعاء والتحميد حتى يقرب زوال الشمس»[٤٦].

وذكر مؤرِّخوه : انه «كان يبكي من خشية الله حتى تخضلَّ لحيته بالدموع»[٤٧].

وحدَّث علي بن جعفر أخوه قال : «خرجنا مع أخي موسى بن جعفر ـ ع ـ في أربع عُمَرٍ يمشي فيها الى مكة بعياله وأهله : واحدة منهن مشى فيها ستة وعشرين يوماً، واخرى خمسة وعشرين يوماً، واخرى أربعة وعشرين يوماً، واخرى أحداً وعشرين يوماً»[٤٨].

و«رُوِي : انه دخل مسجد رسول الله ـ ص ـ فسجد سجدةً في أول الليل، وسُمِعَ وهو يقول في سجوده : عظم الذنبُ عندي فليحسن العفوُ من عندك ؛ يا أهل التقوى ويا أهل المغفرة. فجعل يردِّدها حتى أصبح»[٤٩].

وقال ابن أبي الحديد المعتزلي : «موسى بن جعفر بن محمد ـ وهو العبد الصالح ـ جَمَعَ من الفقه والدين والنسك والحلم والصبر»[٥٠].

(٤٦) الارشاد : ٣١٦.
(٤٧) الارشاد : ٣١٦ والمناقب : ٢/٣٧٩ وبحار الأنوار : ٤٨/١٠١.
(٤٨) بحار الأنوار : ٤٨/١٠٠.
(٤٩) تاريخ بغداد : ١٣/٢٧ ووفيات الأعيان : ٤/٣٩٣ وسير أعلام النبلاء : ٦/٢٧١ والأئمة الاثنا عشر : ٨٩.
(٥٠) شرح نهج البلاغة : ١٥/٢٩١.

وقال ابن تيمية: «موسى بن جعفر مشهور بالعبادة والنسك»[٥١].

وقال القندوزي الحنفي: «كان أعبد أهل زمانه وأعلمهم وأسخاهم»[٥٢].

مكارم أخلاقه:

قال المفيد: «كان أوْصَل الناس لأهله ورحمه»[٥٣].

وقال ابن طلحة الشافعي: «كان يجازي المسيء باحسانه اليه، ويقابل الجاني بعفوه عنه»[٥٤].

وروى الكليني من شواهد مكارم أخلاقه؛ ما حدَّث به معتب قال: «كان أبو الحسن موسى ـ ع ـ في حائطٍ له يصرم، فنظرتُ الى غلامٍ له قد أخذ كارة من تمر فرمى بها وراء الحائط، فأتيته فأخذتُه وذهبتُ به اليه فقلتُ: جعلت فداك؛ اني وجدت هذا وهذه الكارة. فقال للغلام: فلان، قال: لبيك، قال: أتجوع؟ قال: لا يا سيدي، قال: فتعرى؟ قال: لا ياسيدي، قال: فلأي شيء أخذتَ هذه؟ قال: اشتهيتُ ذلك. قال: اذهب فهي لك، وقال: خلوا عنه»[٥٥].

(٥١) منهاج السنة: ٢/١٢٤.
(٥٢) ينابيع المودة: ٣٦٢.
(٥٣) الارشاد: ٣١٦.
(٥٤) مطالب السؤول: ٢/٦١.
(٥٥) الكافي: ٢/١٠٨.

وروى الخطيب البغدادي من تلك الشواهد ما أسنده الى جده يحيى بن الحسن عن غير واحدٍ من أصحابه: «ان رجلاً من ولد عمر بن الخطاب كان بالمدينة يؤذيه [أي يؤذي الامام الكاظم] ويشتم علياً، ـ قال: وكان قد قال بعض حاشيته: دعنا نقتله، فنهاهم عن ذلك أشدَّ النهي وزجرهم أشد الزجر ـ، وسأل عن العمريِّ فذُكِر له أنه يزدرع بناحية من نواحي المدينة. فركب اليه في مزرعته فوجده فيها، فدخل المزرعة بحماره، فصاح به العمري: لاتَطَأْ زرعنا، فوطئه بالحمار حتى وصل اليه، فنزل فجلس عنده وضاحكه وقال له: كم غرمتَ في زرعك هذا؟ قال له: مائة دينار، قال: فكم ترجو أن تصيب؟ قال: أنا لا أعلم الغيب، قال: انما قلت لك كم ترجو أن يجيئك فيه؟ قال: أرجو أن يجيئني مائتا دينار. قال: فأعطاه ثلاثمائة دينار وقال: هذا زرعك على حاله، فقام العمري فقبَّل رأسه. وانصرف، فراح الى المسجد فوجد العمري جالساً، فلما نظر اليه قال: ﴿الله أعلمُ حيث يجعل رسالتَه﴾، فوثب أصحابه فقالوا له: ما قصتك؟ قد كنتَ تقول خلاف هذا، قال: فخاصمهم وشاتمهم، وجعل يدعو لأبي الحسن موسى كلما دخل وخرج»[٥٦].

وذكر ابن أبي الحديد المعتزلي: «ان عبداً لموسى بن جعفر ـ ع ـ قدَّم اليه صَحْفَةً فيها طعام حارٌّ، فعجل فصبَّها على رأسه ووجهه،

(٥٦) تاريخ بغداد: ١٣/٢٨ ـ ٢٩.

فغضب، فقال له: ﴿والكاظمين الغيظ﴾، قال: قد كظمتُ، قال: ﴿والعافين عن الناس﴾، قال: قد عفوتُ، قال: ﴿والله يحبُّ المحسنين﴾، قال: أنت حرٌّ لوجه الله؛ وقد نحلتُك ضيعتي الفلانيَّة»[٥٧].

كرمه وسخاؤه:

اشتهر الامام الكاظم ـ ع ـ في عصره بالجود والسخاء وسعة العطاء، حتى بلغ ذلك ـ فيما روى الرواة ـ انه «كان يتفقد فقراء المدينة في الليل، فيحمل اليهم العينَ والوَرِقَ والأدقَّة والتمور، فيوصل اليهم ذلك ولا يعلمون من أي جهة هو»[٥٨]، «وذكر جماعة من أهل العلم: ان أبا الحسن ـ ع ـ كان يصل بالمائتي دينار الى ثلاثمائة دينار»، وكان «يُضرَب المَثَلُ بصرار موسى» حتى قيل: «عجباً لمن جاءته صرة موسى فشكا القلَّة»[٥٩].

وتناقل المحدِّثون والمؤرخون حتى كاد يبلغ حدَّ التواتر: ان الامام «كان يسمع عن الرجل انه يؤذيه فيبعث اليه بصرَّة فيها ألف دينار ـ وفي لفظ ابن كثير الدمشقي: فيرسل اليه بالذهب

(٥٧) شرح نهج البلاغة: ١٨/٤٦.
(٥٨) الارشاد: ٣١٦ ـ ٣١٧ والمناقب: ٢/٣٧٩ والفصول المهمة: ٢١٩ وعمدة الطالب: ١٨٥ وبحار الأنوار: ٤٨/١٠٢ ونور الأبصار: ١٣٨.
(٥٩) الارشاد: ٣١٨ والمناقب: ٢/٣٧٩ وعمدة الطالب: ١٨٥ وبحار الأنوار: ٤٨/١٠٤ و١٠٨ و٢٤٨.

والتحف ـ، وكان يصرُّ الصرر ثلاثمائة دينار وأربعمائة دينار ومائتي دينار، ثم يقسمها بالمدينة»[٦٠].

وجاء في أمثلة ذلك السخاء ما أخرجه الخطيب البغدادي والذهبي عن عيسى بن محمد بن مغيث القرظي ـ وكان قد بلغ تسعين سنة حينما حدَّث بهذا الحديث ـ قال:

«زرعتُ بطيخاً وقثّاءً وقرعاً في موضعٍ بالجوّانية على بئرٍ يقال لها أُمُّ عظام، فلما قرب الخير واستوى الزرع بغتني الجراد فأتى على الزرع كله، وكنتُ غرمتُ على الزرع وفي ثمن جملَيْن مائة وعشرين ديناراً. فبينما أنا جالس طلع موسى بن جعفر بن محمد، فسلَّم ثم قال: ايش حالك؟ فقلتُ: أصبحتُ كالصَّريم؛ بغتني الجراد فأكل زرعي، قال: وكم غرمتَ فيه؟ قلت: مائة وعشرين ديناراً مع ثمن الجملَيْن. فقال: يا عرفة؛ زِنْ لأبي المغيث مائة وخمسين ديناراً... فقلت: يا مبارك؛ ادخلْ وادعُ لي فيها، فدخل ودعا... ثم علَّقت عليه الجملين وسقيتُه، فجعل الله فيها البركة، زكتْ فبعتُ منها بعشرة آلاف»[٦١].

وأورد الخطيب البغدادي أيضاً في أمثلة ذلك ما رواه عن محمد ابن موسى قال:

(٦٠) مقاتل الطالبيين: ٤٩٩ وتاريخ بغداد: ١٣/٢٧ ـ ٢٨ ووفيات الأعيان: ٤/٣٩٣ وسير أعلام النبلاء: ٦/٢٧١ والبداية والنهاية: ١٠/١٨٣ ومرآة الجنان: ١/٣٩٤ والأئمة الاثنا عشر: ٨٩ وشذرات الذهب: ١/٣٠٤ وينابيع المودة: ٣٨٢.
(٦١) تاريخ بغداد: ١٣/٢٩ وسير أعلام النبلاء: ٦/٢٧٢.

«خرجتُ مع أبي الى ضياعه بساية، فأصبحنا في غـداة باردة، وقد دنونا منها وأصبحنا على عين من عيون ساية، فخرج الينا من تلك الضياع عبد زنجي . . . . على رأسه قدرُ فخار يفور، فوقف على الغلمان فقال: أين سيـدكم؟ قالـوا: هوذاك، قـال: أبو مَنْ يكنى؟ قالوا له: أبا الحسن. قال: فوقف عليه فقال: يا سيدي يا أبـا الحسن؛ هذه عصيـدة أهديتُهـا اليـك، قـال: ضعهـا عنـد الغلمان، فأكلوا منها. ثم ذهب فلم نَقُلْ بَلَغَ حتى خرج على رأسه حزمة حطب حتى وقف فقال له: يا سيـدي هذا حـطب أهديتُـه اليك، قال: ضعه عند الغلمان وهَبْ لنا ناراً، فذهب فجاء بنارٍ. قال: وكتب أبو الحسن اسمه واسم مولاه فدفعه إليَّ وقال: يا بنيَّ احتفظ بهذه الرقعة حتى أسألك عنها. قـال: فوردنـا الى ضياعـه وأقام بها. . . . ثم قال: امضوا بنا الى زيارة البيت، فخرجنا حتى وردنا مكة، فلما قضى أبو الحسن عمرته دعا صاعداً فقال: اذهب فـاطلب لي هذا الـرجل [يعني صـاحب الضيعة التي فيهـا العبد الزنجي]، فاذا علمتَ بموضعه فاعلمني حتى أمشي اليه؛ فاني أكره أن أدعوه والحاجـة لي. قال لي صاعد: فذهبتُ حتى وقفتُ على الرجل. . . . ومضى معي حتى أتيتُه. . . . فقال لـه أبو الحسن: غـلامـك فـلان تبيعـه؟ قـال لـه: جعلتُ فـداك؛ الغـلام لـك والضيعة. . . . فاشـترى أبو الحسن الضيعـة والرقيق منـه بألف

دينار، وأعتق العبد ووهب له الضيعة. قال ادريس بن أبي رافع: فهو ذا وَلَدُه في الصرّافين بمكة»[٦٢].

ونكتفي بهذين المثالين شاهداً على كرم الامام موسى بن جعفر (ع) وسخائه، وانه لكرمٌ فاق به كرماء عصره وأسخياء زمانه، على الرغم من أنه كان يعيل إعـالةً فعليَّـةً «ما يـزيد عـلى خمسمائـة من العيال»[٦٣]، ويعلّق المستشرق دونالدسن على هذا السخاء فيقول: «ربما كان هذا السخاء والكرم مما جعل المهديَّ يرتاب به، فأقدمه الى بغداد وحبسه»[٦٤].

وكلمة يجب أن تُسجَّل هنا قبل الانتقـال عن هذا المـوضوع: تلك هي ان هذا الكرم الـواسع الـذي أصبحت صُرَرُه مضـربَ المَثَل؛ لم يكن بفضل ما يصل الامام من الأموال الشرعية من أتباعه وشيعتـه في شرق الأرض وغـربهـا، لأن ايصـال تلك الأمـوال لمستحقيها لا يعدُّ جوداً ولا كرمـاً. وانما تجسَّـد ذلك السخـاء الثرُّ والعطاء الغَدق بسبب ما كان يصله من حاصل ضياعه ومـزارعه التي دخلت في ملكه شراءً أو إرثاً من أسـلافه، ويـظهر من كتب التاريخ والبلدان ان ذرية علي بن أبي طـالب ـ ع ـ كانـوا يملكون ضياعاً كثيرة في عدة مواضع في الحجاز بين مكة والمدينة وبالقرب

(٦٢) تـاريخ بغـداد: ١٣/ ٢٩ ـ ٣٠، وروى الحافظ ابن كثـير الـدمشقي القصة باختصار في البداية والنهاية: ١٠/ ١٨٣.
(٦٣) بحار الأنوار: ٤٨/ ١٣٠.
(٦٤) عقيدة الشيعة: ١٦٤.

منهما، وان بعض ذلك قد دخل في حيازة الامام الكاظم (ع) فكان ملكه الخاص، ثم زاد عليه ما تسنّى له شراؤه على مرّ الأيام؛ وما استطاع أن ينهض باحيائه من الأراضي الموات.

وقد ورد في عددٍ من المصادر الحديثية والتاريخية ذكرُ «بعض أمواله» أو «ضيعته» أو «حائطٍ له»[٦٥]. وكانت احدى تلك الضياع في نَقَمى[٦٦] ـ وهي موضع «من أعراض المدينة كان لآل أبي طالب»[٦٧] ـ، كما كانت له ضيعة بسايَة[٦٨]، وسايَةُ وادٍ تابع للمدينة المنورة، ومزارعه فيها نخل وعنب ورمان، وقال البكري وياقوت: «أصلها لولد علي بن أبي طالب»[٦٩]، كما ان احدى ضياعه كانت تعرف بـ«اليسيرة» أو «اليسيرية» وهي التي وهبها لولده أحمد[٧٠].

وجاء في احدى الروايات ان واحدة من تلك المزارع قد تصدَّق بها الامام (ع) في حياته على مجموع ذريته من بعده وجعلها وقفاً عليهم، ويبدو انها كانت أرضاً واسعة الجوانب بعيدة الأطراف، إذ ذكر كتابُ الامام المحرَّر بهذا الشأن: انه تصدَّق بهذه الأرض كلها «نخلها وأرضها ومائها وأرجائها وحقوقها وشربها من الماء»[٧١].

(٦٥) الكافي: ٢/١٠٨ و٣/٣٢٦ والارشاد: ٣١٢ و٣١٥ و٣٢٤ وبحار الأنوار: ٤٨/٥٧ و١٣٠.

(٦٦) الارشاد: ٣١٧ وتاريخ بغداد: ١٣/٢٨ وبحار الأنوار: ٤٨/١٠٢.

(٦٧) معجم البلدان: ٨/٣١٠.

(٦٨) تاريخ بغداد: ١٣/٢٩.

(٦٩) معجم ما استعجم: ٣/٧٨٧ ومعجم البلدان: ٥/٢٣.

(٧٠) الارشاد: ٣٢٤ والفصول المهمة: ٢٢٤.

(٧١) بحار الأنوار: ٤٨/٢٨١ ـ ٢٨٢.

وتصرح النصوص المأثورة ان الامام ـ ع ـ كان يعمل في تلك الأراضي بيده في بعض الأحيان، فقد روى علي بن حمزة قال: «رأيت أبا الحسن ـ ع ـ يعمل في أرض له قد استنقعت قدماه في العرق، فقلت: جعلت فداك؛ أين الرجال؟ فقال: يا علي؛ قد عمل باليد من هو خير مني في أرضه، فقلت: ومَنْ هو؟ فقال: رسول الله ـ ص ـ وأمير المؤمنين ـ ع ـ، وآبائي كلهم كانوا قد عملوا بأيديهم»[٧٢].

★★★

ونعود بعد هذه الوقفة التفصيلية الواعية على خلاصة تاريخ خلفاء تلك الحقبة ممن ادعوا انهم امراء المؤمنين وأولياء أمر المسلمين، وعلى تاريخ الامام موسى بن جعفر ـ ع ـ الموثَّق بالمصادر والأسانيد، لنعرف بما لا يقبل الشك والتردد مواهب موسى وملكاته؛ في علمه وفقهه؛ وفي تقاه وورعه؛ وفي نبيل سلوكه وفاضل خُلُقه؛ وفي سخاء يده وكرم عطائه، وتلك هي ـ دون غيرها ـ الصفات الأساس التي اتفق المفكرون الاسلاميون على وجوب اجتماعها في المرشَّح للامامة؛ وأهم الشروط التي افترض الفقهاء توافرها في المؤهَّل لهذا المركز الديني الأعلى في الاسلام.

ويشكِّل ذلك كله بمجموعه حجةً بالغةً على عموم الجاهلين والمغفَّلين والمنكرين، ويوضح لهم أبين الوضوح حكمة الاختيار

(٧٢) الكافي: ٥/٧٥ وبحار الأنوار: ٤٨/١١٥.

وبـراعة الانتقـاء ودقـة النـظر المستشرف للغيب؛ في الأحـاديث النبوية الشريفة المعنيَّة بتعيـين الأئمة والنصِّ عليهم وكـونهم اثنى عشر اماماً كما تقدَّم بيانه في صدر هذا الفصل.

كذلك اتضحت بما لا مجال فيه لشكٍّ أو تردد أيضاً حقيقة اولئك المدَّعين للولاية الشرعية، فراغاً من مواصفات التأهيل، وخلواً مما يجب أن يكونوا عليه من كفايات الاستحقاق. فلم يكن لديهم فقه بالشريعة وأحكامها، ولا علم بمعاني القرآن والحديث، ولا ورع يـردعهم عن محارم الله، ولا الـتزام يصدُّهم عن متـابعة الهـوى وإطاعة شهوات النفس الأمّارة بالسوء.

وليس معنى ذلك اننا ننسب لهم العجز عن ادارة الدولة وشؤون الحكم؛ والفشل في الهيمنة على تلك الرقعة المترامية الأطراف التي نـطلق عليها اسم «الـتراب الاسلامي»، بـل نعترف لهم أصرح الاعـتراف بالقـدرة التامـة عـلى ضبط دفَّـة السلطان؛ واخضـاع الناس؛ وحفظ النظام العام، ولكن ذلك ـ كـما دلَّتنا عليـه وقفتنا هـذه ـ لا يعدُّ إمـامة بحسب التعبير الفقهي، ولم يكن خـاضعـاً لاتِّباع صادق وتنفيذٍ أمين لقواعد الشرع وضوابط الدين وتعاليم الاسلام الصارمة.

ومن مجموع المقارنة بين هذين الطرفـين في تلك الجوانب التي عُني ببيـــانها الفقهـــاء، وتكفلت بشرحهـــا مصـــادر الأحكـــام السلطانية؛ وأسهبت في روايتها كتب الحديث والتاريـخ، يتجلى للعيان بما لا يقبل التأويل وما لايصح فيه التوهم؛ أن الامامـة في ذلك العصر انما كانت للامام موسى بن جعفـر ـ ع ـ دون سواه،

وان غيره من المدَّعين ـ أيّاً ما كانـوا ـ لا يجوز اعتبـارهم أئمة دينٍ وولاة أمرٍ بالمصطلح القرآني، وإن كانوا حكاماً وخلفاء بالمصطلح السياسي الدنيوي.

وذلك هو الحق الجليُّ البيِّن الذي لاحق غيره.

امتدت إمامة موسى بن جعفر ـ ع ـ الشرعية حقبة غير قصيرة من الزمن؛ تناهز نحواً من خمس وثلاثين سنة، وقد شهد العدو والصديق انه كان خلالها مطمح الأنظار؛ ومهوى القلوب؛ وملتقى الأفئدة؛ وملجأ أهل الدين؛ ومنهل طالبي العلم والباحثين عن الحقيقة.

وعاصر في هذه المدة المديدة الحافلة أحداثاً مختلفة الألوان؛ ووقائع متنوعة الآلام، كما عاصر فيها أربعة من الحكام كانوا ـ على تفاوت أذواقهم وأساليبهم ـ متفقين على عداء الطالبيين ومعاملتهم بالقسوة والغلظة؛ ومطاردتهم في كل حدب وصوب، من دون أن تعرف قلوبهم خوفاً من الله أو تقيُّداً بدين أو تأنيباً من ضمير.

ويبدو أن أبا جعفر المنصور ـ وهو أول الحكام الذين ابتلي بهم الامام في بداية إمامته ـ قد اكتفى في ختام مطاردته لأهل البيت؛ بفعلته الشنعاء وجريمته النكراء؛ بقتل الامام الصادق ـ ع ـ بالسم، كما روى غير واحد من المؤرخين ممن أسلفنا ذكره فيما تقدَّم، بعد أن سبقتها فجائعه وفظائعه ضد عبدالله بن الحسن وذوي قرباه من العلويين، ثم ضد ولديه محمد وابراهيم وجميع أصحابهما وأتباعهما من جمهور المسلمين. ولعله حينما استراح من هؤلاء جميعاً قرَّر أن يهادن الامام الكاظم (ع) وأن لا يقوم بأية

إساءة اليه، فتنفس الامام الصعداء من أذى المنصور منذ سنة ١٤٨هـ حتى نهاية حياة الخليفة في سنة ١٥٨هـ.

ومع أننا لا نملك من كلمات المؤرخين ما يجلو لنا صورة العلاقة بين الامام والمنصور؛ في سلبها وايجابها؛ وشدِّها وإرخائها، ولكن القدر المتيقن منها أنها كانت أقرب الى المهادنة والموادعة منها الى التشنُّج والتوتر. ويقول المستشرق دونلدسن: ان «حياة موسى في المدينة. . . . في هذا العصر الشديد الاضطراب؛ ليس معها دليل قاطع به. . . . وكان الامام موسى يعرف ان كل خليفة ينظر اليه بعين الحذر ويراقبه لعله يجد فيه ما يدل على عدم إخلاصه!»[1].

ومهما يكن من أمر؛ فقد رحل المنصور عن الدنيا ولم يسجِّل له أي موقف ظالم وأي تصرف عدواني صارخ ضد الامام الكاظم ـ ع ـ، وبذلك استطاع الامام أن يتفرغ لمهمات العلم والدرس في المدينة المنورة، في الوقت الذي كان أبو جعفر خلاله متفرغاً لمهمات سلطانه وشهوات نفسه في بغداد.

★★★

وتسلَّم المهديُّ الحكم من أبيه المنصور اثر موته في سنة ١٥٨هـ، فبدأ المشّاؤون بالنميم والسعاة بالسوء في إثارة المهدي على الامام، من دون أن توضح لنا النصوص التاريخية أسباب هذه الإثارة وحوادثها المقتضية لها، ويعلِّل المستشرق دونلدسن ثورة الغضب في نفس المهدي بسبب ما شاع من سخاء الامام وكرمه ـ

(١) عقيدة الشيعة: ١٦٢ ـ ١٦٣.

وقد سبق منّا نقل ذلك منه ـ، ولكننا لا نقر هذا التعليل ولا نتفق مع هذا المستشرق فيه، لأن أموال المهدي كانت أكثر من أموال الامام أضعاف المرات، وكان باستطاعته ـ وهو الخليفة الحاكم بأمره ـ أن يغدق على الناس العطاء، حتى يلفت كل الأنظار اليه فيكون هو الأشهر بين الأسخياء.

وأياً ما كان الأمر؛ فقد نجح ذوو النفوس الخبيثة في سعيهم لتأزيم الموقف بين الامام والسلطان، فاستُدْعي الامام الى بغداد، وحُبِس هناك باتفاق المؤرخين مدة من الزمن[2]، ويبدو من بعض النقول والروايات ان استدعاء الامام وحبسه في عهد المهدي قد تكرر أكثر من مرة، فقد روى أبو خالد الرماني (أو الزبالي) وصاحبه أبو يعقوب انهما التقيا الامام في الطريق بين الحجاز والعراق في قَدْمته الاولى على المهدي[3]، وذِكْرُ «القَدْمة الاولى على المهدي» دليلٌ على تعدُّد القَدْمات وتكررها، وإن لم نعرف عددها وملابساتها بالتفصيل.

وروى الخطيب البغدادي عن الفضل بن الربيع عن أبيه؛ قال:

(2) تاريخ بغداد: ١٣/ ٢٧ وصفة الصفوة: ٢/ ١٠٥ ومنهاج السنة: ٢/ ١٢٤ وسير أعلام النبلاء: ٦/ ٢٧٠ والبداية والنهاية: ١٠/ ١٨٣ ومرآة الجنان: ١/ ٣٩٤ وتهذيب التهذيب: ١٠/ ٣٤٠ وشذرات الذهب: ١/ ٣٠٤ وينابيع المودة: ٣٨٢.

(3) الكافي: ١/ ٤٧٧ ـ ٤٧٨ والمناقب: ٢/ ٣٥٤ ـ ٣٥٥ وبحار الأنوار: ٤٨/ ٧٢ ـ ٧٣ و٢٢٨ ـ ٢٢٩.

«لما حبس المهدي موسى بن جعفر رأى المهديُّ في النوم عليَّ بن أبي طالب وهو يقول: يا محمد ﴿فهل عَسَيتُم إنْ تولَّيْتُم أن تُفسِدوا في الأرض وتقطِّعوا أرحامكم﴾ قال الربيع: فأرسل إليَّ ليلاً فراعني ذلك، فجئتُه فاذا هو يقرأ هذه الآية ـ وكان أحسن الناس صوتاً ـ وقال: عليٌّ بموسى بن جعفر، فجئته به فعانقه وأجلسه الى جانبه، وقال: يا أبا الحسن؛ إني رأيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في النوم يقرأ عَليَّ كذا، فتؤمنني أن تخرج عليَّ أو على أحدٍ من ولدي؟ فقال: آلله؛ لا فعلتُ ذاك ولا هو من شأني، قال: صدقتَ. يا ربيع أعطه ثلاثة آلاف دينار وردَّه الى أهله الى المدينة، قال الربيع: فأحكمتُ أمره ليلاً فما أصبح الا وهو في الطريق خوف العواتق»[4].

وهذا النص ـ كما يرى القارىء ـ صريح الدلالة على أن الامام كان محبوساً عند الربيع وزير الخليفة، وهناك نص آخر يستفاد منه انه كان سجيناً عند حميد بن قحطبة[5] أحد جلاوزة الحكم المقرَّبين، ولابد أن ذلك كان في قَدْمةٍ اخرى سابقة أو لاحقة؛ غير

(4) تاريخ بغداد: ٣/ ٣٠ ـ ٣١. وورد الخبر بتفصيل أكثر أو أقل في تاريخ الطبري: ٨/ ١٧٧ ونثر الدر: ٣/ ٩٢ وصفة الصفوة: ٢/ ١٠٤ وكامل ابن الأثير: ٥/ ٧٢ ووفيات الأعيان: ٤/ ٣٩٣ ومطالب السؤول: ٢/ ٦١ ـ ٦٢ وتذكرة الخواص: ٣٥٩ وسير أعلام النبلاء: ٦/ ٢٧٢ ـ ٢٧٣ والبداية والنهاية: ١٠/ ١٨٣ والفصول المهمة: ٢١٤ ومرآة الجنان: ١/ ٣٩٤ ـ ٣٩٥ والأئمة الاثنا عشر: ٨٩ ـ ٩٠ وشذرات الذهب: ١/ ٣٠٤ وبحار الأنوار: ٤٨/ ١٤٨ وينابيع المودة: ٣٨٢.

(5) المناقب: ٢/ ٣٦٥ وبحار الأنوار: ٤٨/ ١٣٩ ـ ١٤٠.

تلك التي تحدَّث عنها الربيع.

★★★

وانتهى عهد المهدي وعهد قد ماته وسجـونه لـلامام، فتسلَّم الهادي السلطة اثر وفاة أبيه، ويبدو أن الهادي قد ورث من المهدي الحقد والضغينة على آل علي وفاطمة (ع)، فلم يسلم الامـام من أذاه وشرِّه خلال أيام حكمه التي لم تدم طويلاً، وروى الحافظ ابن حجر الهيتمي: «أن موسى الهادي حبسه أولاً ثم أطلقه»[6]، وذكر الآبي: ان «موسى الهادي قد هَمَّ به»[7] أي بقتله، وروى آخرون: ان الخليفة قد تنكر للامام «فهلك قبل أن يوصل الى الكاظم ـ ع ـ أذىً»[8].

وعندما نريد البحث والتعمق في معرفة دوافع الخليفة الهـادي الى حبس الامام أو ايصال الأذى اليه أو العزم على قتله؛ فقد يرجح في الـظن ان ذلك مـرتبط بقضية ثـورة الحسـين بن عـلي في سنـة ١٦٩هـ، كما يرجح أيضاً أن يكون تراجعه عن تنفيذ ما عزم عليه بسبب ما علمه بعد ذلك من جلاوزته ومخبريه من عـدم مشاركـة الامام في تلك الثورة ورفضه دعوة ابن عمـه للخروج معـه، وقد جاء في رواية الكليني: ان الحسين بن علي لما أعلن أمره واستـولى

(٦) الصواعق المحرقة: ١٢٢ وينابيع المودة: ٣٦٣.
(٧) نثر الدر: ١/٣٥٨.
(٨) عمدة الطالب: ١٨٥ وبحار الأنوار: ٤٨/٢٤٨.

ل المدينة المنوَّرة «دعا موسى بن جعفر الى البيعة، فأتاه فقال له: يا ن عم؛ لاتكلِّفني ما كلَّف ابنُ عمِّك عمَّك أبا عبدالله، فيخرج ي ما لا أريد كما خرج من أبي عبدالله ما لم يكن يريد. فقـال له صين: انما عـرضتُ عليك أمـراً؛ فإن أردتَـه دخلتَ فيه؛ وإن رهتَه لم أحملك عليـه، والله المستعان. ثم ودَّعـه، فقال لـه أبو سن موسى بن جعفر حين ودَّعه: يا ابن عم؛ انك مقتول»[9].

وتنص رواية أبي الفرج الأصبهاني على أنـه لم يتخلَّف أحدٌ من طالبيين عن الخروج مع الحسـين هذا «الا الحسن بن جعفـر بن سن بن الحسن؛ وموسى بن جعفر بن محمد»[10].

ولم يكن امتنـاع الامام مـوسى بن جعفر ـ ع ـ عن تـأييـد ابن ه؛ بالخروج معه؛ أو حثِّ الناس على بيعته؛ أو اعلان وجوب نخراط في صفوف الثائرين معه، ناشئـاً عن خوفٍ من بـطش سلطة، أو ايثـارٍ للحياة عـلى الموت؛ أو حبٍّ للدنيـا وزبارجهـا دّاعة، وأين منه كل ذلك؛ وهو يعيش بطش السلطة وأذاها في كل يوم، ويتمنى لقاء الله وقدومه عليه في كل دعاء وابتهال.

ولقد سبق منّا القول في بحوثنا السابقة المعنية بالأئمة عـلي بن الحسين ومحمد بن علي الباقـر وجعفر بن محمـد الصادق ـ عليهم السلام ـ: ان هؤلاء القادة ليسـوا من حيث المنطلق والمبـدأ هواة حكمٍ أو عشّاق سلطان، ولم يكن من أهدافهم في الـدنيا كـرسي

(٩) الكافي: ١/٣٦٦ وبحار الأنوار: ٤٨/١٦٠ ـ ١٦١.
(١٠) مقاتل الطالبيين: ٤٤٧.

الملك أو عرش الخلافة، وانما يتمثل همهم الأكبر وشغلهم الشاغل في العمل على تطبيق أحكام الدين، وتجسيد ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله على صعيد الواقع المعاش للمسلمين، فإنْ علموا بتحقيق الثورة لذلك ـ ولو بالقوة لا بالفعل كما في ثورة الحسين (ع) ـ قاموا بها ولم يأبهوا بفداحة الخسائر وعظم التضحيات، وإن لم يضمنوا هذه النتيجة لا في الحال ولا في المستقبل المنظور امتنعوا عن إراقة الدماء وتأجيج نيران الحروب والفتن، لأنها بلا جدوى ولا مردود.

ومن هنا كان سبب تخلُّف الامام عن تأييد نهضة ابن عمه، لعلمه مسبَّقاً بأنها محكومة بالفشل المحتم؛ وغير مكتوب لها النجاح ـ ولو بأدنى درجاته ـ في تحقيق الهدف. وبذلك لن يكون لها من نتيجة سوى مقتل القائمين بها ومقتل من يناصرهم فيها من جماهير الناس الناقمة على بني العباس، وسوى تعزيز قبضة الحاكم وتدعيم تسلطه على الرقاب، من دون أن يترتب عليها أو يكون من آثارها شيء ملموس في إصلاح المفاسد وإزالة المظالم وتنفيذ شرع الله في خلقه وأرضه.

وعلى الرغم من علم الامام بهذه الخاتمة وإخباره الحسين بصريح اللفظ انه مقتول؛ واصرار الحسين على موقفه وتصميمه، فقد أثِر عن الامام موسى بن جعفر (ع) لما بلغه نبأ شهادة ابن عمه قوله فيه: «إنّا لله وانا اليه راجعون. مضى واللهِ مسلماً صالحاً صوّاماً؛ آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر؛ ما كان في أهل بيته

مثله»[11]، مشيراً في ذلك الى أن قيام الحسين بنهضته انما كان من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وليس مشمولاً بعنوان الجهاد الشرعي العام الذي تجب مشاركة جميع المسلمين فيه إن توافرت شروطه وأركانه.

وهكذا انتهت هذه الانتفاضة أو الثورة ـ كما انتهت ثورات بني الحسن الاخرى السابقة عليها ـ بلا فائدة ولا عائدة، ولعل ما أسلفنا ذكره من اقتناع الخليفة بعدم اقرار الامام لها وعدم مشاركته فيها قد خفّف من غيظه وغلوائه ضده، فابتعد عنه شرُّه خلال الأشهر الباقية من عمر الهادي وقد شاء الله أن لا تطول ولا تمتد.

★★★

ثم آل الأمر والصولجان بعد الهادي الى أخيه هارون الرشيد، فكانت أيامه من أشدِّ الأيام ـ بل الأشدَّ مطلقاً ـ على الطالبيين عامة والامام موسى بن جعفر خاصة، ولم نقف من خلال الروايات التاريخية على سببٍ معينٍ لهذا التشنج الهاروني الجائر، غير الحقد والغيرة والعُقَد الموروثة له من أسلافه العباسيين تجاه أبناء عمهم العلويين. إذ لو كان له سبب غير ذلك ـ أيّاً مّا كان ـ لذكره المؤرخون ولو من باب الدفاع عن تصرفات الخليفة وتسويغ سوء أعماله.

وكمثلٍ واحدٍ يكفينا مؤونة الشرح والتطويل نسوق ما جاء في رواية عبيد الله البزاز النيسابوري قال:

---

(١١) بحار الأنوار: ٤٨/١٦٥.

«كان بيني وبين حميد بن قحطبة الطائي الطوسي معاملة، فرحلتُ اليه في بعض الأيام، فبلغه خبر قدومي فاستحضرني. . . . وذلك في شهر رمضان وقت صلاة الظهر، فلما دخلتُ اليه. . . أحضرت المائدة، وذهب عني اني صائم. . . ثم ذكرتُ فأمسكتُ يدي. فقال لي حميد: مالك لا تأكل؟، فقلتُ: أيها الأمير؛ هذا شهر رمضان؛ ولستُ بمريض ولا بي علّة توجب الافطار، ولعل الأمير له عذر في ذلك. . . . فقال: ما بي علة توجب الافطار واني لصحيح البدن، ثم دمعت عيناه وبكى، فقلت له. . . ما يبكيك أيها الأمير، فقال:

«أنفذ إليّ هارون الرشيد. . . . ثم قال لي: خذ هذا السيف وامتثل ما يأمرك به هذا الخادم. قال: فتناول الخادم السيف وناولنيه، وجاء بي الى بيتٍ بابُه مغلق، ففتحه فاذا فيه بئر في وسطه وثلاثة بيوت أبوابها مغلقة، ففتح بابَ بيتٍ منها فاذا فيه عشرون نفساً عليهم الشعور والذوائب؛ شيوخ وكهول وشبان مقيَّدون. فقال لي: ان أمير المؤمنين!! يأمرك بقتل هؤلاء، وكانوا كلهم علوية من ولد علي وفاطمة، فجعل يخرج إليّ واحداً بعد واحد فأضرب عنقه، حتى أتيتُ على آخرهم، ثم رمى بأجسادهم ورؤوسهم في تلك البئر. ثم فتح بابَ بيتٍ آخر فاذا فيه أيضاً عشرون نفساً من ولد علي وفاطمة مقيَّدون، فقال لي: ان أمير المؤمنين!! يأمرك بقتل هؤلاء. . . . فأتيتُ على آخرهم. ثم فتح باب البيت الثالث فاذا فيه مثلهم عشرون نفساً من ولد علي وفاطمة. . . . فجعل يخرج إليّ واحداً بعد واحد فأضرب

عنقه. . . . حتى أتيتُ على تسعة عشر منهم، وبقي شيخ منهم عليه شعر، فقال لي: تبّاً لك يا مشوم؛ أي عذرٍ لك يوم القيامة اذا قدمتَ على جدِّنا رسول الله ـ ص ـ وقد قتلتَ من أولاده ستين نفساً. . . . فارتعشت يدي وارتعدت فرائصي، فنظر إليّ الخادم مغضباً وزبرني، فأتيتُ على ذلك الشيخ فقتلتُه. . . . فاذا كان فعلي هذا وقد قتلتُ ستين نفساً من ولد رسول الله ـ ص ـ، فما ينفعني صومي وصلاتي، وأنا لا أشك اني مخلَّد في النار»[12].

ان هذه القصة بمفردها ـ وقد أسلفنا أنها مَثَلٌ يحكي لنا تاريخ الرشيد في مجموع فقراته ـ كافية في الدلالة على طريقة تعامُل هذا الخليفة مع العلويين أيّاً كانت مقاماتهم الدينية والاجتماعية؛ وفي المقدمة منهم رمزهم الأكبر وسيدهم الأعلى موسى بن جعفر ـ ع ـ.

وينسب ابنُ عنبة الداودي الى الرشيد في أول تولّيه السلطة انه «أكرم الامام وعظّمه»[13]، ثم تغيّر عليه بعد ذلك فأمر بحبسه. وسواء أصحَّ خبر هذا الاكرام المصطنع أو لم يصح، فان المؤرخين قد أجمعوا في تواتر الخبر على أن الرشيد كان حاقداً كل الحقد على الامام؛ وانه قد سجنه لعدة سنوات؛ وانه قد توفي في سجن الرشيد[14] باتفاق النصوص.

---

(١٢) بحار الأنوار: ٤٨/١٧٦ ـ ١٧٨.

(١٣) عمدة الطالب: ١٨٥ وبحار الأنوار: ٤٨/٢٤٨.

(١٤) نثر الدر: ١/٣٦٠ ووفيات الأعيان: ٤/٣٩٤ وتذكرة الخواص: ٣٥٩ ومنهاج السنة: ٢/١٢٤ وسير أعلام النبلاء: ٦/٢٧٠ والعبر: ١/٢٢٢ والبداية والنهاية: ١٠/١٨٣ ومرآة الجنان: ١/٣٩٥ وتهذيب التهذيب: ١٠/٣٤٠ والأئمة الاثنا عشر: ٩٠ وشذرات الذهب: ١/٣٠٤ وبحار الأنوار: ٤٨/٢٢٨ وينابيع المودة: ٣٦٣ و٣٨٢.

ووردت الرواية في بعض المصادر تتحدث عن نصّ وصيةٍ للامام موسى بن جعفر ـ ع ـ ونصّ وقفية احدى ضياعه، والراجح عندي ان ذلك قد تمّ بعد تولي الرشيد الملك، وانه ليدل بوضوح على إحساس الامام بأن حياته قد أصبحت في خطرٍ منتظر الوقوع في ظلّ هذا الحاكم الجديد، فحرر هذه الوصية والوقفية من باب التحسُّب للطوارىء والمفاجآت لتنظيم شؤون عائلته وأولاده من بعده.

وجاء في نصّ الوصية:

«ان أبا ابراهيم موسى بن جعفر أشهد على وصيته اسحاق بن جعفر بن محمد، وابراهيم بن محمد وجعفر بن صالح ومعاوية الجعفريين؛ ويحيى بن الحسين بن زيد؛ وسعد بن عمران الأنصاري؛ ومحمد بن الحارث الأنصاري؛ ويزيد بن سليط الأنصاري؛ ومحمد بن جعفر الأسلمي: بعد أن أشهدهم أنه يشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له، وان محمداً عبده ورسوله، وان الساعة آتية لا ريب فيها، وان الله يبعث من في القبور، وان البعث بعد الموت حق، وان الحساب والقصاص حق، وان الوقوف بين يدي الله عز وجل حق، وان ما جاء به محمد ـ ص ـ حق، وان ما نزل به الروح الأمين حق. على ذلك أحيا وعليه أموت وعليه أُبعث إن شاء الله».

«أشهدهم ان هذه وصيتي بخطي . . . . وأوصيتُ بها الى عليّ ابني وبنيَّ بعده، إن شاء وآنس منهم رشداً وأحبَّ إقرارهم فذلك له، وإن كرههم وأحبَّ أن يخرجهم فذلك له، ولا أمر لهم معه.

وأوصيتُ اليه بصدقاتي وأموالي وصبياني الذين خلَّفتُ وولدي؛ والى ابراهيم والعباس واسماعيل وأحمد وام أحمد. والى عليّ أمر نسائي دونهم؛ وثلث صدقة أبي وأهل بيتي يضعه حيث يرى، ويجعل منه ما يجعل ذو المال في ماله . . . . وإن أحبَّ أن يبيع أو يهب أو ينحل أو يتصدق على غير ما وصَّيتُه فذاك اليه . . . . وإن رأى أن يقرَّ اخوته الذين سميتُهم في صدر كتابي هذا أقرَّهم، وإن كره فله أن يخرجهم غير مردود عليه. وإن أراد رجل منهم أن يزوِّج اخته فليس له أن يزوِّجها الا باذنه وأمره . . . . ولي عنده مال؛ وهو مصدَّق فيما ذكر من مبلغه إن أقلَّ وأكثر، فهو الصادق . . . . وأولادي الأصاغر وامهات أولادي من أقام منهن في منزلها وفي حجابها فلها ما كان يجري عليها في حياتي إن أراد ذلك . . . . ولا يزوِّج بناتي أحدٌ من اخوتهن ومن أمهاتهن ولا سلطان ولا عمل لهن الا برأيه ومشورته . . . . وهو أعرف بمناكح قومه؛ إن أراد أن يزوِّج زوَّج؛ وإن أراد أن يترك ترك»[١٥].

وجاء في كتاب وقف الصدقة الجارية على ذريته مالفظه:

«هذا ما تصدَّق به موسى بن جعفر: تصدَّق بأرضه مكان كذا وكذا . . . . كلها ونخلها ومائها وأرجائها وحقوقها وشربها من الماء؛ وكلّ حقٍّ هو لها؛ في مرفع أو مظهر أو عنصر أو مرفق أو مساحة أو مسيل أو عامر أو غامر. تصدَّق بجميع حقّه من ذلك

(١٥) بحار الأنوار: ٤٨ / ٢٧٦ ـ ٢٨٠.

على ولده من صلبه الرجال والنساء، يقسَّم ما أخرج الله عز وجل من غلتها ـ بعد الذي يكفيها في عمارتها ومرافقها؛ وبعد ثلاثين عذقاً يقسَّم في مساكين أهل القرية ـ بين ولد موسى بن جعفر؛ للذكر مثل حظ الانثيين. فإن تزوجت امرأة من ولد موسى بن جعفر فلا حقَّ لها في هذه الصدقة حتى ترجع اليها بغير زوج، فإن رجعت كان لها مثل حظ التي لم تتزوج من بنات موسى. ومَنْ توفي من ولد موسى وله ولدٌ فولده على سهم أبيهم؛ للذكر مثل حظ الانثيين؛ على مثل ما شرط موسى بين ولده من صلبه. ومَنْ توفي من ولد موسى ولم يترك ولداً رُدَّ حقُّه على أهل الصدقة. وليس لولد بناتي في صدقتي هذه حق الا أن يكون آباؤهم من ولدي. وليس لأحدٍ في صدقتي حقٌّ مع ولدي وولد ولدي وأعقابهم ما بقي منهم أحد، فان انقرضوا ولم يبق منهم أحد فصدقتي على ولد أبي من أمي ما بقي منهم أحدٌ ما شرطتُ بين ولدي وعقبي، فان انقرض ولد أبي من امي وأولادهم فصدقتي على ولد أبي وأعقابهم ما بقي منهم أحد، فان لم يبق منهم أحد فصدقتي على الأوْلى فالأوْلى حتى يرث اللهُ الذي ورثها وهو خير الوارثين».

«تصدَّق موسى بن جعفر بصدقته هذه ـ وهو صحيح ـ صدقةً حبيساً بتّاً بَتلاً. . . . ابتغاء وجه الله تعالى والدار الآخرة، ولا يحل لمؤمنٍ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيعها أو يبتاعها أو يهبها أو ينحلها أو يغير شيئاً مما وضعتُها عليه حتى يرث اللهُ الأرضَ ومَنْ عليها»[16].

* * *

(١٦) بحار الأنوار: ٤٨ / ٢٨١ ـ ٢٨٢.

وعلى كل حال، فان المتفق عليه بين المؤرخين ان أيام الرشيد كانت أسوء الأيام على الامام إرهاباً وإرعاباً وسجوناً ومعتقلات، ويستفاد من مجموع كلماتهم واقوالهم ان الامام في عهد هذا الخليفة قد تكرَّر سجنه واخلاء سبيله أكثر من مرة قبل سجنه الأخير الذي توفي فيه، كما يستفاد منها انه حُبِس في البصرة مرة؛ وفي بغداد مرات، وانه تنقل في حبوس عيسى بن جعفر؛ والفضل بن الربيع؛ والفضل بن يحيى البرمكي، ثم السندي بن شاهك[17] في آخر المطاف.

وروى المسعودي عن عبدالله بن مالك الخزاعي ـ وكان على دار الرشيد وشرطته ـ قال:

«أتاني رسول الرشيد في وقتٍ ما جاءني فيه قط، فانتزعني من موضعي. . . . فلما صرتُ الى الدار سبقني الخادم فعرَّف الرشيد خبري، فأذن لي في الدخول، فدخلتُ فوجدتُه قاعداً على فراشه، فسلَّمتُ فسكت ساعة. . . . ثم قال لي: يا عبدالله؛ أتدري لِمَ طلبتُك في هذا الوقت؟ قلتُ: لا والله يا أمير المؤمنين، قال: اني رأيتُ الساعة في منامي كأن حبشياً قد أتاني ومعه حربة فقال: إن لم تُخْلِ عن موسى بن جعفر الساعة والاّ نحرتُك بهذه الحربة. فاذهب فخلِّ عنه، فقلتُ: يا أمير المؤمنين؛ أُطْلِقُ موسى بن جعفر؟ ثلاثاً، قال: نعم امضِ الساعة حتى تطلق موسى بن جعفر، وأعطه ثلاثين ألف درهم، وقل له: إن أحببتَ المقام قِبَلنا

(١٧) المناقب: ٢ / ٣٨٤ والفصول المهمة: ٢٢٢.

فلك عندي ما تحب، وإن أحببتَ المضيَّ الى المدينة فالاذن في ذلك اليك. قال: فمضيتُ الى الحبس. . . . وخلّيتُ سبيله»[18].

وهـذا النص صريح كـل الصراحة في اطـلاق السراح وتخلية السبيل، وهو دليل واضح على تكرار حبس الامام أيام الـرشيد، وقد يبدو من بعض النصوص ما يستشعر منه بقاء الامام في بغداد بعد اطلاق سراحه ذاك برهة من الوقت، كما في الخبر الذي يرويه أبو هاشم الجعفري ويذكر فيه انـه كان «مـع أبي الحسن ـ ع ـ في السفينة في دجلة ـ الى آخر الخبر ـ»[19]، فان وجوده في السفينة في دجلة مما يشعر بالبقاء إن لم يدل عليه.

ومهما يكن من أمر، فقـد أفادنـا خبر المسعـودي المتقدم تخليـة سبيل الامام بعد سجنه ذاك، كـما أفادتنـا نصوص اخـرى اعادة الحبس وتكراره، ولم يتضح لنا بشكل قاطع أسباب تلك الحبوس المتكـررة ودوافعها الحقيقيـة، ولكنَّ من المحتمل أن يكـون أولها مرتبطاً بحجِّ الرشيد لأول مرة بعد استخلافه، وبما ذكره المؤرخون من أنه «لما دخل المدينة توجَّه لزيـارة النبي ـ ص ـ ومعه النـاس، فتقدم الرشيد الى قبر رسول الله ـ ص ـ فقال: السلام عليك يـا رسول الله؛ السلام عليك يا ابن عم. مفتخراً بذلك على غـيره، فتقدم أبو الحسن ـ ع ـ الى القـبر فقال: السـلام عليك يـا رسول

(١٨) مروج الذهب: ٣/ ٢٦٥ ـ ٢٦٦ ووفيات الأعيان: ٤/ ٣٩٤ والأئمة الاثنا عشر: ٩١ ـ ٩٢. ومختصر منه في مـرآة الجنان: ١/ ٣٩٥ والصـواعق المحرقة: ١٢٢ وينابيع المودة: ٣٦٣.

(١٩) الكافي: ٣/ ٤٤٢.

الله، السلام عليك يا أبه. فتغير وجه الـرشيد وتبـين الغيظ فيه» فكتمه وقال: «هذا الفخر يا أبا الحسن حقاً»[20].

والمستنبط من مجموع روايات هذه الحادثة ـ وقد وردت في عددٍ غـير قليل من المصـادر المعتمدة كـما يتضح من مـراجعـة هـامش التخريج ـ ان الرشيد قد صدمته هذه المفاخرة الصريحة أو المباهلة الجريئة، فأفسدت عليه مشاعر التعالي ولذة المباهاة، وحرمته من توهم قدرته على خداع السامعين والمشاهدين بأنه أقرب الناس الى رسول الله ـ ص ـ؛ وبكونه الأحقَّ بالخـلافة بحكم هـذه القربى المتصلة الوشائج. ويبدو ان الامام قد أحسَّ بهدف الرشيد من هذا الاعلان؛ فبادر الى إعـلام جماهـير الحاضرين بـأنه الأقـرب رحماً ونسباً؛ والألصق لحمةً وسبباً، وانه ابن رسـول الله ـ ص ـ حقاً على رغم زيف المزيفين وتضبيب المضببين.

وتدلنا الأخبار المعنية بهذا الموضوع على أن الرشيد بعد أن كتم غضبه وغيظه؛ لم يستطع نسيان ذلـك أو إغفال أمـره، بل يـظهر بجلاء ان تلك المجابهة العنيفة المؤدَّبة من الامام موسى بن جعفر قد هيمنت عـلى نفس الخليفـة وأفكـاره فـأصبحت شغله الـذهني

(٢٠) الارشـاد: ٣١٨ وتـاريـخ بغـداد: ١٣/ ٣١ والمنـاقب: ٢/ ٣٨٠ والاحتجـاج: ٢١٤ وكامـل ابن الأثير: ٥/ ١٠٨ وكفـايـة الـطالب: ٣١٠ ووفيات الأعيان: ٤/ ٣٩٤ وتذكرة الخـواص: ٣٥٩ وسير أعـلام النبلاء: ٦/ ٢٧٣ والبداية والنهاية: ١٠/ ١٨٣ ومرآة الجنان: ١/ ٣٩٥ والصـواعق المحرقة: ١٢٢ والأئمـة الاثنا عشر: ٩٠ ـ ٩١ وبحـار الأنوار: ٤٨/ ١٠٣ و١٣٥ ـ ١٣٦ وينابيع المودة: ٣٦٣.

الشاغل؛ وصار يستغل كل لقاء له بالامام ـ على قلة تلك اللقاءات ـ للحديث والبحث في هذه المسألة.

وكان من ذلك ما ورد من أن الرشيد سأله يوماً فقال:

«لِمَ زعمتُم أنكم أقربُ الى رسول الله ـ ص ـ منّا؟».

فقال الامام: «لو أن رسول الله ـ ص ـ أنْشِر فخطب اليك كريمتك هل كنت تُجيبه؟».

فقال الرشيد: «سبحان الله، وكنتُ أفتخر بذلك على العرب والعجم».

فقال الامام: «لكنه لا يخطب إليَّ ولا أُزوِّجه، لأنه وَلَدَنا ولم يلدكم»[٢١].

وفي لفظٍ آخر: ان الامام قال للرشيد: «هل كان يجوز أن يدخل على حرمك وهنَّ منكشفات؟. فقال: لا. فقال: لكنه يدخل على حرمي كذلك؛ وكان يجوز له»[٢٢].

وفي مجلس آخر سأل الرشيد الامام قائلاً:

«لِمَ قلتم إنّا ذرية رسول الله ـ ص ـ وجوَّزتم للناس أن ينسبوكم اليه فيقولون: يا بني رسول الله؛ وأنتم بنو علي، وانما يُنسَب الرجل الى أبيه؟».

(٢١) نثر الدر: ١/ ٣٥٩ وبحار الأنوار: ٤٨/ ١٢٧ ـ ١٢٨.

(٢٢) نثر الدر أيضاً: ١/ ٣٥٩.

فقال الامام: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿بسم الله الرحمن الرحيم: ومن ذُرِّيته داود وسليمانَ وأيوبَ ويوسفَ وموسى وهارونَ وكذلك نَجْزي المحسنين، وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس﴾، وليس لعيسى أب، وانما أُلحق بذرية الأنبياء من قِبَل أُمِّه، وكذلك أُلحِقنا بذرية النبي ـ ص ـ من قبل أمنا فاطمة».

ثم أضاف الامام الى ذلك لزيادة التبيين فقال: «قال الله تعالى: ﴿فمن حاجَّكَ فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا نَدْعُ أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم﴾، ولم يَدْعُ ـ ص ـ عند مباهلة النصارى غير علي وفاطمة والحسن والحسين وهما الأبناء»[٢٣].

وسأله الرشيد يوماً فقال: «اريد أن أسألك عن العباس وعلي؛ بِمَ صار عليٌّ أولى بميراث رسول الله ـ ص ـ من العباس، والعباس عم رسول الله ـ ص ـ وصنو أبيه؟».

فأجابه الامام قائلا: «ان النبي ـ ص ـ لم يورِّث مَنْ قدر على الهجرة فلم يهاجر، ان أباك العباس آمن ولم يهاجر، وان علياً ـ ع ـ آمن وهاجر، وقال الله: ﴿الذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا﴾، فالتمع وجه هارون وتغيَّر»[٢٤].

(٢٣) نثر الدر: ١/ ٣٥٩ ـ ٣٦٠ وبحار الأنوار: ٤٨/ ١٢٢ ـ ١٢٣ و١٢٨ ـ ١٢٩ وينابيع المودة: ٣٦٢. ومختصر منه في تحف العقول: ٣٠٣ والفصول المهمة: ٢٢٠ ونور الأبصار: ١٣٦ واسعاف الراغبين: ٢١١.

(٢٤) تحف العقول: ٣٠٢ وبحار الأنوار: ١٠/ ٢٤٢.

وذكر مؤرخو الأدب من شواهد النزاع في قربى أولاد البنات في العصر العباسي الأول ـ وهو فرع شدة اهتمام حكام ذلك العصر بهذه المسألة ـ ما رواه أبو الفرج الاصبهاني بسنده عن محمد بن يحيى بن أبي مُرَّة التغلبي قال:

«مررتُ بجعفر بن عفان الطائي يوماً وهو على باب منزله، فسلَّمتُ عليه فقال لي: مرحباً يا أخا تغلب؛ اجلس. فجلستُ فقال لي: أما تعجب من ابن ابي حفصة ـ لعنه الله ـ حيث يقول:

أنّى يكون وليس ذاك بكائنٍ لبني البنات وراثة الأعمامِ

«فقلتُ: بلى واللهِ؛ اني لأتعجب منه وأكثر اللعن له، فهل قلتَ في ذلك شيئاً؟، فقال: نعم قلتُ:

لِمْ لا يكون وان ذاك لكائنٌ لبني البنات وراثة الأعمامِ
للبنت نصف كامل من ماله والعمُّ متروك بغير سهامِ
ما للطليق ولِلتراث وانما صلّى الطليق مخافة الصمصامِ[٢٥]

ويعلِّق الباحث المعتزلي عز الدين بن أبي الحديد على هذا الموضوع فيقول في جملة ما أورد في تعليقه المسهب:

«فإن قلتَ: أيجوز أن يقال للحسن والحسين وولدهما: أبناء رسول الله؛ وولد رسول الله؛ وذرية رسول الله؛ ونسل رسول الله؟».

(٢٥) الأغاني: ١٠/٩٤ـ٩٥.

«قلتُ: نعم، لأن الله تعالى سمّاهم أبناءه في قوله تعالى: ﴿نَدْعُ أبناءنا وأبناءكم﴾ وانما عنى الحسن والحسين. ولو أوصي لولد فلانٍ بمالٍ دخل فيه أولاد البنات. وسمّى الله تعالى عيسى ذرية ابراهيم في قوله: ﴿ومن ذريته داود وسليمان﴾ الى أن قال: ﴿ويحيى وعيسى﴾، ولم يختلف أهل اللغة في أن ولد البنات من نسل الرجل».

«فإن قلتَ: فما تصنع بقوله تعالى: ﴿ما كان محمدٌ أبا أحدٍ من رجالكم﴾؟».

«قلتُ: أسألك عن ابوَّته لابراهيم بن مارية، فكما تجيب به عن ذلك فهو جوابي عن الحسن والحسين ـ ع ـ. والجواب الشامل للجميع: انه عنى زيد بن حارثة، لأن العرب كانت تقول: زيد بن محمد؛ على عادتهم في تبني العبيد، فأبطل الله تعالى ذلك ونهى عن سنة الجاهلية، وقال: ان محمداً ـ ع ـ ليس أباً لواحدٍ من الرجال البالغين المعروفين بينكم ليعتزى اليه بالبنوة، وذلك لا ينفي كونه أباً لأطفالٍ لم تطلق عليهم لفظة الرجال كابراهيم وحسن وحسين ـ ع ـ».

«فان قلتَ: أتقول ان ابنَ البنت ابنٌ على الحقيقة الأصلية أم على سبيل المجاز؟».

«قلتُ: لذاهبٍ ان يذهب الى أنه حقيقة أصلية، لأن اصل الاطلاق الحقيقة، وقد يكون اللفظ مشتركاً بين مفهومين وهو في أحدهما أشهر، ولا يلزم من كونه أشهر في أحدهما أن لا يكون حقيقة في الآخر. ولذاهبٍ أن يذهب الى أنه حقيقة عرفية، وهي

التي كثر استعمالها، وهي في الأكثر مجاز، حتى صارت حقيقة في العرف؛ كالراوية للمزادة والسماء للمطر. ولذاهبٍ أن يذهب الى كونه مجازاً قد استعمله الشارع، فجاز إطلاقه في كل حال واستعماله كسائر المجازات المستعملة».

«ومما يدل على اختصاص ولد فاطمة دون بني هاشم كافةً بالنبي ـ ص ـ: أنه ما كان يحل له ـ ع ـ أن ينكح بنات الحسن والحسين ـ ع ـ ولا بنات ذريتهما وإن بَعُدْنَ وطال الزمان، ويحل له نكاح بنات غيرهم من بني هاشم من الطالبيين وغيرهم. وهذا يدل على مزيد الأقربية وهي كونهم أولاده، لأنه ليس هناك من القرب غير هذا الوجه، لأنهم ليسوا أولاد أخيه ولا أولاداخته؛ ولا هناك وجهٌ يقتضي حرمتهم عليه الا كونه والداً لهم وكونهم أولاداً له»[٢٦].

★★★

وهكذا كانت قضية قربى أولاد البنات وما حصل من المباهلة بشأنها أمام ضريح النبي ـ ص ـ مصدراً اضافياً من مصادر حقد الرشيد على الامام موسى بن جعفر ـ ع ـ، وربما كانت هي السبب في سجنه الذي حدَّثنا عنه مسؤول شرطة الخليفة فيما تقدم نقله.

ومنذ هذا الحبس ـ وهو الحلقة الاولى في سلسلة الحبوس الهارونية ـ بدأ الامام رحلة العذاب والعسف والاضطهاد في عهد الرشيد، ولم يكتب لها الختام الا بنهاية حياة الامام كما يأتي بيانه.

(٢٦) شرح نهج البلاغة: ١١/٢٦ ـ ٢٨.

ويقول السيد أمير علي الهندي: انه قد «حدث مرتين أن سمح الرشيد لهذا الامام الوديع بالرجوع الى الحجاز، ولكن شكوكه كانت في كلتا المرتين تتغلب على طيبة قلبه!!»[٢٧].

ولم يذكر هذا الباحث طبيعة تلك الشكوك وأسباب السجون، غير أني أظن أن منها ما كان مرتبطاً بقضية خروج يحيى بن عبدالله ابن الحسن بن الحسن على الرشيد، على الرغم مما اشتهر يومذاك من ان الامام قد وقف من هذه الحركة موقفاً سلبياً صريحاً في تجنبه واعتزاله؛ فلم يعلن أي إقرارٍ بشرعيتها أو تأييدٍ لها، ولم يكن ذلك حتماً مما تجهله السلطة أو مما يخفى خبره على عيون الخليفة ورقبائه في المدينة المنورة.

وجاء في الرواية: ان يحيى حين صح عزمه على الثورة كتب الى الامام كتاباً جاء فيه:

«أما بعد: فاني أُوصي نفسي بتقوى الله، وبها أُوصيك.. خبَّرني مَنْ وَرَدَ عليّ من أعوان الله على دينه ونشر طاعته؛ بما كان من تحنُّنك مع خذلانك، وقد شاورتُ في الدعوة للرضا من آل محمد ـ ص ـ، وقد احتجبتَها واحتجبها أبوك من قبلك، وقديماً ادَّعيتم ما ليس لكم!؛ وبسطتم آمالكم الى مالم يعطكم الله!، فاستهويتم وأضللتم!، وأنا محذِّرك ما حذَّرك الله من نفسه».

فكتب اليه الامام موسى بن جعفر ـ ع ـ مجيباً:

(٢٧) مختصر تاريخ العرب: ٢٠٨ ـ ٢٠٩.

«أما بعد: فانيّ احذِّرك اللهَ ونفسي، واعلمك أليم عذابه وشديد عقابه وتكامل نقماته، واوصيك ونفسي بتقوى الله فانها زين الكلام وتثبيت النعم. أتاني كتابك تذكر فيه أني مُدَّع وأبي من قبل.. وذكرتَ أني ثبَّطتُ الناس عنك لرغبتي فيما في يديك. وما منعني من مدخلك الذي أنت فيه ـ لو كنتُ راغباً ـ ضعفٌ عن سنَّة ولا قلَّةُ بصيرةٍ بحجَّة»[٢٨].

ولم يبال يحيى بنصائح الامام وتحذيراته فأعلن نهضته، غير أنها سرعان ما باءت بالفشل؛ فقُبض على يحيى وأُودع السجن أولاً؛ ثم مات. ورُوي ان الرشيد «بنى عليه اسطوانة بالرافقة وهو حيٌ»، وقيل: «انه دسَّ اليه في الليل مَنْ خنقه حتى تلف»، وقيل: «انه سقاه سماً»، وقيل: «انه أجاع السباع ثم ألقاه اليها فأكلته»[٢٩]. ولا حول ولا قوة الا بالله.

وبفشل حركة يحيى استراح هارون من انتفاضات العلويين بعض الوقت، ولكن ضغنه على الامام موسى بن جعفر ـ ع ـ لم يهدأ ولم يستقر، فكان آخر حبوس الامام في سنة ١٧٩ هـ بعد ما أكمل الخليفة عمرته في شهر رمضان، وقدم المدينة زائراً قبر النبي ـ ص ـ، فأمر بحمل الامام الى العراق، ثم شخص الى الحج[٣٠].

---

(٢٨) الكافي: ١/٣٦٦ ـ ٣٦٧.
(٢٩) مقاتل الطالبيين: ٤٨٢.
(٣٠) الكافي: ١/٤٧٦ وتاريخ بغداد: ١٣/٢٧ ووفيات الأعيان: ٤/٣٩٤ والأئمة الاثنا عشر: ٩٠ وبحار الأنوار: ٤٨/٢٠٦.

وروى أبو الفرج الاصبهاني والشيخ المفيد وغيرهما ـ بألفاظ متقاربة ـ فقالوا:

«كان السبب في قبض الرشيد على أبي الحسن موسى ـ ع ـ وحبسه وقتله.... ان الرشيد جعل ابنه محمداً في حجر جعفر بن محمد بن الأشعث، فحسده يحيى بن خالد بن برمك على ذلك وقال: إن أفضت الخلافة اليه زالت دولتي ودولة ولدي، فاحتال على جعفر بن محمد بن الأشعث ـ وكان يقول بالامامة ـ حتى داخله وأنس به وأسرَّ اليه، وكان يكثر غشيانه في منزله فيقف على أمره ويرفعه الى الرشيد؛ ويزيد عليه في ذلك بما يقدح في قلبه».

ثم استطاع ابن برمك في خلال ذلك أن يشتري ضمير علي بن اسماعيل بن جعفر؛ ابن أخ الامام الكاظم ـ ع ـ، وأن يستعين به ويحرِّضه على عمِّه، وأن يستدعيه الى بغداد ليحدِّث الرشيد بما يلفِّقه من أخبار عمِّه وما ينسبه اليه. وقد علم الامام بهذا الأمر فحذَّر ابن أخيه ونبَّهه على سوء فعله، فلم ينفع التحذير والتنبيه، وخرج علي بن اسماعيل المذكور «حتى أتى يحيى بن خالد البرمكي، فتعرَّف منه خبر موسى بن جعفر، فرفعه الى الرشيد وزاد فيه، ثم أوصله الى الرشيد فسأله عن عمه فسعى به اليه.... وقال: ان الأموال تُحمَل اليه من المشرق والمغرب.... فسمع ذلك منه الرشيد وأمر له بمائتي ألف درهم».

«وحج الرشيد في تلك السنة فبدأ بقبر النبي ـ ص ـ.... فقال: يا رسول الله؛ اني أعتذر اليك من شيء اريد أن أفعله،

اريد أن أحبس موسى بن جعفر، فانه يريد التشتيتَ بين امتك وسفكَ دمائها!! . ثم أمر به فأخذ من المسجد، فأُدخل اليه، فقيَّده. وأُخرج من داره بَغْلان عليهما قبَّتان مغطاتان؛ هو في احداهما، ووجّه مع كل واحدٍ منهما خيلاً، فأخذوا بواحدة على طريق البصرة والاخرى على طريق الكوفة، ليعمّي على الناس أمره، وكان موسى في التي مضت الى البصرة، فأمر الرسول أن يسلّمه الى عيسى بن جعفر بن المنصور ـ وكان على البصرة حينئذ ـ فمضى به فحبسه عنده سنة»[٣١].

وفي أثناء هذه السنة كتب الرشيد الى واليه يأمره بقتل الامام، فاستدعى عيسى بن جعفر بعض خاصته وثقاته فاستشارهم فيما كتب اليه الرشيد، فأشاروا عليه بالاستعفاء من ذلك، فكتب عيسى الى الرشيد يقول له: لقد طال أمر موسى بن جعفر ومقامه في حبسي، وقد اختبرتُ حاله ووضعتُ عليه العيون طول هذه المدة فما وجدتُه يفترعن العبادة، ووضعتُ من يسمع منه ما يقول في دعائه فما دعا عليك ولا عليَّ ولا ذَكَرَنا بسوء، وما يدعو لنفسه الا بالمغفرة والرحمة، فإن أنت أنفذتَ إليَّ من يتسلّمه مني والا خلّيت سبيله، فاني متحرج من حبسه[٣٢].

(٣١) مقاتل الطالبيين: ٥٠١ ـ ٥٠٢ والارشاد: ٣١٩ ـ ٣٢٠ والفخري: ١٧٢ وبحار الأنوار: ٤٨/ ٢٣١ ـ ٢٣٢. ومعظم النص في المناقب: ٢/ ٣٧١.

(٣٢) مقاتل الطالبيين: ٥٠٢.

وكان بعض عيون عيسى بن جعفر قد أبلغه أنه طالما سمع الامام يردِّد في دعائه خلال ذلك الحبس عنده ويكثر من ترداده: «اللهم انك تعلم اني كنت أسألك أن تفرِّغني لعبادتك، اللهم وقد فعلتَ فلك الحمد»[٣٣].

ويستفاد من بعض الروايات ان الامام لم يكن مضيَّقاً عليه في سجن عيسى بالبصرة، بل ورد فيها ما يدل على دخول آحادٍ من الناس عليه يتفقدونه ويسألونه الأحكام الشرعية[٣٤].

ثم وجّه الرشيد الى عيسى بن جعفر من تسلَّم الامام منه، فنُقل الى بغداد فسُلِّم الى الفضل بن الربيع، فبقي عنده مدة طويلة، فأراده الرشيد على شيء من أمره فأبى، فكتب اليه ليسلِّمه الى الفضل بن يحيى[٣٥].

وروى احمد بن عبدالله عن أبيه قال: «دخلتُ على الفضل بن الربيع وهو جالس على سطح، فقال لي: أشرف على هذا البيت وانظر ما ترى، فقلت: ثوباً مطروحاً، فقال: انظر حسناً، فتأملتُ فقلت: رجلٌ ساجد، فقال لي: تعرفه؟ هو موسى بن جعفر، أتفقده الليل والنهار فلم أجده في وقتٍ من الأوقات الا على هذه الحالة: انه يصلي الفجر فيعقِّب الى أن تطلع الشمس، ثم يسجد سجدة فلا يزال ساجداً حتى تزول الشمس. . . . فاذا صلّى

(٣٣) الارشاد: ٣٢١ والمناقب: ٢/ ٣٧٩ وبحار الأنوار: ٤٨/ ١٠٧.

(٣٤) بحار الأنوار: ٤٨/ ٢٩ و٤٧.

(٣٥) مقاتل الطالبيين: ٥٠٢ والارشاد: ٣٢٠.

العتمة أفطر، ثم يجدِّد الوضوء . . . . فلا يزال يصلي في جوف الليل حتى يطلع الفجر»[٣٦].

وتسلَّم الفضلُ بن يحيى الامام فجعله في بعض حجر دوره، ووضع عليه الرصد، وكان الامام ـ ع ـ مشغولاً بالعبادة كعادته، «يُحْيي الليل كله صلاةً وقراءة للقرآن ودعاء واجتهاداً، ويصوم النهار في أكثر الأيام، ولا يصرف وجهه عن المحراب»[٣٧].

ويظهر من بعض الروايات ان الفضل هذا خاصةً وآل برمك عامةً قد أساؤا معاملة الامام كل السوء، فقد جاء في الأثر عن الامام علي بن موسى الرضا ـ ع ـ انه قال لأحمد بن محمد بن أبي نصر في أثناء حديث طويل: «ان الله يدافع عن أوليائه، وينتقم لأوليائه من أعدائه، أما رأيتَ ما صنع الله بآل برمك وما انتقم لأبي الحسن ـ ع ـ»[٣٨]، كما روى عبدالله بن طاووس عن الامام الرضا ـ ع ـ أيضاً: ان يحيى بن خالد هو الذي سمَّ أباه موسى بن جعفر ـ ع ـ[٣٩].

ولكن روايات اخرى تقول: ان الفضل بن يحيى لما اطَّلع على عبادة الامام وانقطاعه الى الله في جميع أوقات الليل والنهار وسَّع عليه وأكرمه، وان ذلك قد علم به الرشيد ـ وكان في الرقة يومذاك ـ «فكتب اليه ينكر عليه توسعته على موسى ـ ع ـ ويأمره

(٣٦) المناقب: ٢/ ٣٧٩ وبحار الأنوار: ٤٨/ ٢١٠ ـ ٢١١

(٣٧) الارشاد: ٣٢١.

(٣٨) الكافي: ٢/ ٢٢٤ وبحار الأنوار: ٤٨/ ٢٤٩.

(٣٩) بحار الأنوار: ٤٨/ ٢٤٢.

بقتله، فتوقف عن ذلك ولم يُقْدِم عليه، فاغتاظ الرشيد لذلك ودعا مسروراً الخادم فقال له: اخرج على البريد في هذا الوقت الى بغداد وادخل من فورك على موسى بن جعفر، فإن وجدتَه في دعة ورفاهية فأوصل هذا الكتاب الى العباس بن محمد ومُرْهُ بامتثال ما فيه. وسَلَّم اليه كتاباً آخر الى السندي بن شاهك يأمره فيه بطاعة العباس بن محمد».

«فقدم مسرور فنزل دار الفضل بن يحيى لا يدري أحدٌ ما يريد، ثم دخل على موسى فوجده على ما بلغ الرشيد، فمضى من فوره الى العباس بن محمد والسندي بن شاهك فأوصل الكتابين اليهما. فلم يلبث الناس أن خرج الرسول يركض ركضاً الى الفضل بن يحيى، فركب معه وخرج مشدوهاً دَهِشاً حتى دخل على العباس بن محمد، فدعا العباسُ بسياطٍ وعقابين، وأمر بالفضل فجُرِّد وضربه السندي بين يديه مائة سوط، وخرج متغير اللون خلاف ما دخل».

«وكتب مسرور بالخبر الى الرشيد، فأمر بتسليم موسى الى السندي بن شاهك. وجلس الرشيد مجلساً حافلاً وقال: أيها الناس؛ ان الفضل بن يحيى قد عصاني وخالف طاعتي ورأيت أن ألعنه فالعنوه. فلعنه الناس من كل ناحية حتى ارتج البيت والدار بلعنه، وبلغ يحيى بن خالد الخبر فركب الى الرشيد، فدخل من غير الباب الذي يدخل الناس منه حتى جاءه من خلفه وهو لا يشعر به، ثم قال له: التفت يا أمير المؤمنين إليَّ، فأصغى اليه فزعاً، فقال: ان الفضل حَدَثٌ وأنا أكفيك ما تريد. فانطلق وجهه وسُرَّ الميل

على الناس فقال: ان الفضل كان قد عصاني في شيء فلعنتُه، وقد تاب وأناب الى طاعتي فتولوه، فقالوا: نحن أولياء من واليتَ وأعداء من عاديتَ، وقد توليناه. ثم خرج يحيى بن خالد بنفسه على البريد حتى وافى بغداد، فماج الناس وأرجفوا بكل شيء، وأظهر انه ورد لتعديل السواد والنظر في امور العمّال، وتشاغل ببعض ذلك أياماً. ثم دعا السندي بن شاهك فأمره فيه بأمره، فامتثله»[٤٠].

وهكذا انتقل الامام في خاتمة مطاف الأذى والعذاب الى سجن السندي بن شاهك، بعد أن أمضى سنة كاملة في سجن عيسى بن جعفر بالبصرة؛ ومُدَداً اخرى لم تحدِّدها الروايات في سجني الفضل بن الربيع والفضل بن يحيى ببغداد كما تقدَّم.

ويبدو من بعض الأخبار ان الرشيد كان يلتقي أحياناً بالامام بعد أن أصبح مسجوناً بالقرب منه في بغداد، وكانا يتجاذبان الحديث في بعض الامور التي تشغل بال الخليفة أو يريد اختبار الامام فيها، فقد روى الزمخشري وغيره: «ان هارون الرشيد كان يقول لموسى بن جعفر: حُدَّ فدكاً حتى أردَّها اليك، فيأبى، حتى ألحَّ عليه، فقال ـ ع ـ: إن حَدَدْتُها لا تردها، قال: بحقِّ جدك إلاّ فعلتَ. قال: أما الحدُّ الأول فعَدَن ـ فتغيَّر وجه الرشيد وقال:

(٤٠) النص في مقاتل الطالبيين: ٥٠٣ ـ ٥٠٤ والارشاد: ٣٢٢ ـ ٣٢٣ وبحار الأنوار: ٤٨/ ٢٣٣ ـ ٢٣٤. ومعظمه في المناقب: ٢/ ٣٨٥ ـ ٣٨٦. وبعضه في الفصول المهمة: ٢٢٠ ـ ٢٢٢ والصواعق المحرقة: ١٢٢ وبحار الأنوار: ٤٨/ ٢٠٧ ـ ٢١٠ و٢٢١ ونور الأبصار: ١٣٨ ـ ١٣٩.

ايهاً ـ، قال: والحدُّ الثاني سمرقند ـ فاربدَّ وجهه ـ، والحدُّ الثالث افريقية.... والرابع سِيف البحر مما يلي الخزر وارمينية. قال الرشيد: فلم يبق لنا شيء فتحوَّلْ الى مجلسي. قال موسى: قد أعلمتُك انني إن حددتها لا تردها»[٤١].

وروى بعضهم وقوع هذا الحوار بين الامام والمهدي العباسي[٤٢]، وربما تكرر ذلك من الخليفتين، لأن قضية غصب فدك وخبر مصادرتها من فاطمة الزهراء ـ ع ـ في حياتها ومن أبنائها من بعدها؛ أمرٌ مشهور في تاريخ الاسلام منذ صدره الأول، ومعروف بكل جلاء لدى جميع الهاشميين من طالبيين وعباسيين[٤٣].

ولا بد أن يكون هذا الحوار قد دار في احدى لقاءات الخليفة بالامام وهو سجين عنده ببغداد، كما لابد أن تكون بينهما لقاءات اخرى يستدعيه الرشيد لأجلها من السجن كلما أهمه أمرٌ أو شغل ذهنه شاغل ذو شأن.

وجاء في احدى روايات الدينوري: ان الرشيد قال يوماً للأصمعي وهو يحدِّثه عن وَلَدَيْه الأمين والمأمون: «كيف بكم اذا ظهر تعاديهما وبدا تباغضهما ووقع بأسهما بينهما؛ حتى تُسْفَك الدماء ويودَّ كثير من الأحياء انهم كانوا موتى؟».

(٤١) ربيع الأبرار: ١/ ٣١٥ ـ ٣١٦ والمناقب: ٢/ ٣٨١ وتذكرة الخواص: ٣٥٩ وبحار الأنوار: ٤٨/ ١٤٤.

(٤٢) الكافي: ١/ ٥٤٣ وبحار الأنوار: ٤٨/ ١٥٦ ـ ١٥٧.

(٤٣) يراجع ذكرنا لفدك وكونها «الرمز» لحق أهل البيت ـ ع ـ في كتابنا الامام محمد بن علي الباقر: ٦٣ ـ ٦٥.

فسأله الأصمعي: «يا أمير المؤمنين؛ هذا شيء قضى به المنجمون عند مولدهما، أوشيء أثرته العلماء في أمرهما؟».

قال الرشيد: «بل شيء أثرته العلماء عن الأوصياء عن الأنبياء في أمرهما».

قال الرواة: «فكان المأمون يقول في خلافته: قد كان الرشيد سمع جميع ما جرى بيننا من موسى بن جعفر بن محمد، فلذلك قال ما قال»[٤٤].

★★★

وانتقل الامام بأمر الخليفة الى سجن السندي بن شاهك ـ وهو السجن الأخير في سلسلة سجونه خلال السنوات السود العجاف في آخر عمره ـ، وروى الخطيب البغدادي والحافظ الذهبي وغيرهما ان اخت السندي سألت أخاها أن تتولى أمر هذا العبد الصالح في حبسه ـ وكانت تتديَّن ـ، فوافق على ذلك، فكانت على خدمته. وحُكي انها قالت:

«كان اذا صلّى العتمة حمد الله ومجّده ودعاه، فلم يزل كذلك حتى يزول الليل، فاذا زال الليل قام يصلي حتى يصلي الصبح، ثم يذكر حتى تطلع الشمس، ثم يقعد الى ارتفاع الضحى، ثم يتهيأ ويستاك، ويأكل، ثم يرقد الى الزوال، ثم يتوضأ ويصلي، ثم يذكر في القبلة حتى يصلي المغرب، ثم يصلي ما بين المغرب الى

(٤٤) الأخبار الطوال: ٣٨٩.

العتمة، فكانت تقول: خاب قومٌ تعرَّضوا لهذا الرجل»[٤٥].

ولما كان الخليفة قد صمم وهو في الرقة على التخلص من الامام ـ كما مرت الاشارة اليه ـ؛ بعد أن نفد صبره؛ فلم يعد في قوس تحمله منزع؛ ولا في دائرة حقده متّسع، فقد أصدر الأمر الى السندي بتنفيذ ذلك؛ على أن يكون محاطاً بتستر واخفاء كاملين. فبدأ السندي يعد العدة لجريمته النكراء؛ مستخدماً كل ما لديه من مكر وحيلة وخداع.

وكان من جملة أساليب الدجل والتغطية سماحُه لبعض كبار رجال الدولة وأعوانها بالدخول على الامام في سجنه، وجاء في الرواية: ان أبا يوسف القاضي ومحمد بن الحسن صاحبَيْ أبي حنيفة وتلميذيه المعروفَيْن قد زارا الامام في السجن، ويقول الراوي: انه بينما كان هذان الرجلان هناك إذ جاء رجل كان موكّلاً بشؤون الامام من قبل السندي بن شاهك فقال: «ان نوبتي قد انقضت وأنا على الانصراف، فإن كان لك حاجة أمرتَني حتى آتيك بها في الوقت الذي تخلفني النوبة؟، فقال: مالي حاجة. فلما أن خرج قال الامام لأبي يوسف: ما أعجب هذا؛ يسألني أن اكلّفه حاجة من حوائجي، وهو ميت في هذه الليلة. فقاما فقال أحدهما للآخر: إنّا جئنا لنسأله عن الفرض والسنّة، وهو الآن جاء بشيء آخر كأنه من علم الغيب!».

(٤٥) تاريخ بغداد: ١٣/ ٣١ وكامل ابن الأثير: ٥/ ١٠٨ وسير أعلام النبلاء: ٦/ ٢٧٣ وتاريخ أبي الفدا: ٢/ ١٥

«ثم بعثا برجل مع الرجل فقالا: اذهب حتى تلزمه وتنظر ما يكون من أمره في هذه الليلة. . . . فمضى الرجل فنام في مسجدٍ في باب داره، فلما أصبح سمع الواعية. . . . فقال: ما هذا؟، قالوا: قد مات فلان في هذه الليلة. . . . فانصرف الى أبي يوسف ومحمد وأخبرهما الخبر. فأتيا أبا الحسن فقالا: قد علمنا أنك أدركتَ العلم في الحلال والحرام؛ فمن أين أدركتَ أمر هذا الرجل الموكَّل بك انه يموت في هذه الليلة؟، قال: من الباب الذي أخبر بعلمه رسولُ الله ـ ص ـ عليَّ بن أبي طالب ـ ع ـ»[٤٦].

كما كان من جملة طرائق السندي في التغطية والتمهيد للقتل سماحُه ببعض الأسئلة والرسائل أن تصل الى الامام؛ وأن يقوم حرّاس السجن بايصال أجوبتها الى السائلين، كما في رواية الحسين المختار قال: «خرجتْ الينا ألواح من أبي الحسن موسى وهو في الحبس ـ الى آخر الرواية ـ»[٤٧]، وكما في رواية علي بن سويد قال: «كتبتُ الى أبي الحسن موسى ـ ع ـ وهو في الحبس كتاباً أسأله عن حاله وعن مسائل كثيرة، فاحتبس الجواب عليَّ أشهراً، ثم أجابني بجوابٍ» جاء فيه بعد حمد الله: «أما بعد: فانك امرؤ أنزلك الله من آلِ محمد بمنزلةٍ خاصة. . . . كتبتَ تسألني عن امور. . . . رأيتُ أن افسِّر لك ما سألتَني عنه»، ثم قال: «ان أول ما أَنْهي اليك

(٤٦) الفصول المهمة: ٢٢٣ وبحار الأنوار: ٤٨/٦٤ ـ ٦٥ ونور الأبصار: ١٣٨.

(٤٧) الكافي: ١/٣١٢ والارشاد: ٣٢٦.

أني أنعى اليك نفسي في لياليَّ هذه، غير جازع ولا نادم ولا شاكٍّ فيما هو كائن مما قد قضى الله عز وجل وحتم ـ الى آخر الكتاب ـ»[٤٨].

وروى الخطيب البغدادي: ان الامام كتب الى الرشيد وهو في الحبس كتاباً جاء فيه: «انه لن ينقضي عني يوم من البلاء الا انقضى عنك معه يوم من الرخاء، حتى نفضي جميعاً الى يوم ليس له انقضاء يخسر فيه المبطلون»[٤٩].

وواضح من النصوص المتقدمة إحساس الامام بثاقب علمه ان أيامه قد دنت ـ كما صرَّح بذلك في كتابه المتقدم الى عليِّ بن سويد ـ على الرغم من كل محاولات السندي واساليبه في الكتمان والاخفاء. ثم جاء في بعض الروايات ما يفهم منه مكاشفة السندي للامام باقتراب الأجل وساعة الرحيل، واستئذانه منه أن يكفنه ويقوم بتجهيزه، فأبى الامام وقال له: «إنّا أهل بيتٍ مهورُ نسائنا وحجُّ صرورتنا وأكفان موتانا من طاهر أموالنا، وعندي كفني، واريد أن يتولى غسلي وجهازي مولاي فلان»[٥٠].

وأخيراً ـ وقد حان الحين ونزل الأجل ـ أقدم عدو الله السندي

(٤٨) الكافي: ٨/١٢٤ ـ ١٢٦ وبحار الأنوار: ٤٨/٢٤٢ ـ ٢٤٤.

(٤٩) تاريخ بغداد: ١٣/٣٢ وصفة الصفوة: ٢/١٠٥ وكامل ابن الأثير: ٥/١٠٨ ـ ١٠٩ وتذكرة الخواص: ٣٦٠ وسير أعلام النبلاء: ٦/٢٧٣ والبداية والنهاية: ١٠/١٨٣ والفصول المهمة: ٢٢٣ وبحار الأنوار: ٤٨/١٤٨ ونور الأبصار: ١٣٩.

(٥٠) الارشاد: ٣٢٣ وتحف العقول: ٣٠٨ والفصول المهمة: ٢٢٢ وبحار الأنوار: ٤٨/٢٣٤ ونور الأبصار: ١٣٩.

ابن شاهك على فعلته السوداء وجريمته الدهياء بدسّ السمّ للامام؛ إطاعةً لأمر سيده الخليفة، فقضى السم عليه كما هو معروف ومشهور في معظم المصادر المعنيّة بتاريخ الامام[٥١]، وإن روى بعضهم «انه غُمِر في بساطٍ ولُفّ حتى مات»[٥٢]، ولكنها رواية لم تصح ولم تثبت.

وسرعان ما جمع السندي ثمانين رجلاً من الوجوه فأدخلهم على موسى بن جعفر (ع)، وطلب منهم ـ كما حدَّث أحدُ هؤلاء الثمانين ـ أن ينظروا الى هذا الرجل هل حدث به حدثٌ، فان الناس يزعمون أنه قد فُعِل به ويكثرون في ذلك، وهذا منزله وفراشه موسَّع عليه غير مضيَّق، ولم يرد أمير المؤمنين به سوءاً، وانما ينتظر به أن يقدم فيناظر أمير المؤمنين، وهذا هو صحيح موسَّع عليه في جميع اموره، فسلوه... فقال موسى بن جعفر: أما ما ذكر من التوسعة وما أشبهها فهو على ما ذكر، غير أني أخبركم أيها النفر أني قد سُقيتُ السمَّ في سبع تمرات... وبعد غدٍ أموت»، قال الراوي: «فنظرتُ الى السندي بن شاهك يضطرب ويرتعد»[٥٣].

(٥١) مروج الذهب: ٣/٢٧٣ وتهذيب الطوسي: ٦/٨١ والمناقب: ٢/٣٨٣ و٣٨٤ والفخري: ١٧٢ ووفيات الأعيان: ٤/٣٩٥ والفصول المهمة: ٢٢٢ والأئمة الاثنا عشر: ٩٣ والصواعق المحرقة: ١٢٢ وبحار الأنوار: ٤٨/٢و٦ و٢٠٧ وجواهر الكلام: ٢٠/٩٨ وعمدة الزائر: ٣٠٦ وينابيع المودة: ٣٦٣ واسعاف الراغبين: ٢١٢.

(٥٢) عمدة الطالب: ١٨٥ وبحار الأنوار: ٤٨/٢٤٨.

(٥٣) الكافي: ١/٢٥٨ ـ ٢٥٩ والمناقب: ٢/٣٨٦ وبحار الأنوار: ٤٨/٢١٢ و٢٤٧ ـ ٢٤٨.

وفي رواية اخرى: ان السندي المذكور أدخل عليه «الفقهاء ووجوه أهل بغداد وفيهم الهيثم بن عدي وغيره، فنظروا اليه لا أثر به من جراح ولا خنق، وأشهدهم على أنه مات حتف أنفه، فشهدوا على ذلك!!»[٥٤]، وفي نصّ اليعقوبي: انه «أحضر القوّاد والكتّاب والهاشميين والقضاة ومن حضر ببغداد من الطالبيين»[٥٥] للشهادة على كونه مات حتف أنفه، وفي لفظ محمد بن صدقة العنبري: ان الذين دخلوا عليه هم شيوخ الطالبية وبني العباس»[٥٦].

وأُخرج جثمان الامام مسجّى في تابوته، فـ«وُضِع على الجسر ببغداد، ونودي ـ برواية المفيد ـ: «هذا موسى بن جعفر قد مات فانظروا اليه، فجعل الناس يتفرَّسون في وجهه وهو ميت. وقد كان قوم زعموا في أيام موسى ـ ع ـ انه هو القائم المنتظر، وجعلوا حبسه هو الغيبة المذكورة للقائم، فأمر يحيى بن خالد أن ينادى عليه: هذا موسى بن جعفر الذي تزعم الرافضة انه هو القائم الذي لا يموت، فانظروا اليه. فنظر الناس اليه ميتاً»[٥٧].

(٥٤) الارشاد: ٣٢٣ والفخري: ١٧٢ وسير أعلام النبلاء: ٦/٢٧٤ والفصول المهمة: ٢٢٢ وبحار الأنوار: ٤٨/٢٢٦ و٢٣٤ ونور الأبصار: ١٣٩.

(٥٥) تاريخ اليعقوبي: ٣/١٤٥.

(٥٦) بحار الأنوار: ٤٨/٢٢٨.

(٥٧) الارشاد: ٣٢٣. وبعض النص في مقاتل الطالبيين: ٥٠٤ ـ ٥٠٥ والمناقب: ٢/٣٨٦ ونور الأبصار: ١٣٩.

وروي : ان سليمان بن جعفر بن أبي جعفر المنصور كان ذات يوم جالساً فمرَّت به جنازة، فقال: «سلوا هذه جنازة مَنْ؟، فقيل: هذا موسى بن جعفر مات في الحبس فأمر الرشيد أن يدفن بحاله. فقال سليمان: موسى بن جعفر يدفن هكذا!!»، ثم أمر غلمانه «بتجهيزه، وكفَّنه بكفنٍ فيه حبرة استعملت له بألفين وخمسمائة دينار مكتوب عليها القرآن كله. ومشى حافياً، ودفنه»[٥٨].

وفي رواية اخرى: ان سليمان أمر غلمانه أن يأخذوا الجثمان من أيدي جلاوزة السندي، وقال لهم: «إن ما نعوكم فاضربوهم . . . . فنزلوا اليهم فأخذوه من أيديهم . . . . ووضعوه في مفرق أربعة طرق، وأقام المنادين ينادون: ألا مَنْ أراد الطيِّبَ ابن الطيِّب موسى بن جعفر فليخرج. وحضر الخلق، وغُسِّل وحنِّط بحنوط فاخر»[٥٩] الى آخر ما تقدم في الرواية السابقة.

وكانت وفاة الامام في يوم الجمعة[٦٠]، في اليوم الخامس والعشرين من رجب على المشهور[٦١]، وروى بعض الأعلام انها

(٥٨) المناقب: ٢/٣٨٦ ـ ٣٨٧.

(٥٩) بحار الأنوار: ٤٨/٢٢٧ و٢٢٨.

(٦٠) المناقب: ٢/٣٥٧ و٣٨٣ وبحار الأنوار: ٤٨/٦ و٢٠٧ و٢٣٠ و٢٣١ وجواهر الكلام: ٢٠/٩٨ وينابيع المودة: ٣٨٣.

(٦١) تاريخ بغداد: ١٣/٣٢ وصفة الصفوة: ٢/١٠٥ وكفاية الطالب: ٣١٠ ووفيات الأعيان: ٤/٣٩٥ ومطالب السؤول: ٢/٦٥ وتاريخ أبي الفدا: ٢/١٦ والبداية والنهاية: ١٠/١٨٣ والفصول المهمة: ٢٢٣ والأئمة الاثنا عشر: ٩٣ وبحار الأنوار: ٤٨/١ و٦ و٢٠٦ و٢٢٨ وعمدة الزائر: ٣٠٦ ونور الأبصار: ١٣٩.

كانت لستٍّ خلون من رجب[٦٢]، وقيل: لستٍّ بقين منه[٦٣]، وقيل: لخمس خلون منه[٦٤]. وكانت في الأشْهَر الشبيه بالاتفاق بين جمهور مؤرخي الامام في سنة ١٨٣ هـ[٦٥]، وقيل: سنة

(٦٢) الكافي: ١/٤٧٦ والارشاد: ٣٠٧ وبحار الأنوار: ٤٨/٢٠٦ و٢٣٧ وعمدة الزائر: ٣٠٦.

(٦٣) تهذيب الطوسي: ٦/٨١ والمناقب: ٢/٣٨٣ وبحار الأنوار: ٤٨/٦ و٢٠٧ وجواهر الكلام: ٢٠/٩٨.

(٦٤) المناقب: ٢/٣٨٣ وبحار الأنوار: ٤٨/١ و٦ و٢٠٧ وجواهر الكلام: ٢٠/٩٨ وعمدة الزائر: ٣٠٦ وينابيع المودة: ٣٨٣.

(٦٥) تاريخ اليعقوبي: ٣/١٤٥ وتاريخ الطبري: ٨/٢٧١ والكافي: ١/٤٨٦ والارشاد: ٣٠٧ والمناقب: ٢/٣٨٣ وتاريخ بغداد: ١٣/٣٢ وتهذيب الطوسي: ٦/٨١ وصفة الصفوة: ٢/١٠٥ وكفاية الطالب: ٣١٠ ووفيات الأعيان: ٤/٣٩٥ ومطالب السؤول: ٢/٦٥ وكامل ابن الأثير: ٥/١٠٨ وتاريخ ابي الفدا: ٢/١٦ ومنهاج السنة: ٢/٢٤ و١٢٤ وتذكرة الخواص: ٣٦٠ وسير أعلام النبلاء: ٦/٢٧٤ والعبر: ١/٢٢١ والبداية والنهاية: ١٠/١٨٣ ومرآة الجنان: ١/٣٩٤ والفصول المهمة: ٢٢٣ والنجوم الزاهرة: ٢/١١٢ وتهذيب التهذيب: ١٠/٣٤٠ والأئمة الاثنا عشر: ٩٣ وعمدة الطالب: ١٨٥ وشذرات الذهب: ١/٣٠٤ وبحار الأنوار: ٤٨/١ و٦ و٢٠٦ و٢٠٧ و٢٣٧ وجواهر الكلام: ٢٠/٩٨ وتاريخ الخميس: ٢/٣٣٢ وينابيع المودة: ٣٨٣ ونور الأبصار: ١٣٩ وعمدة الزائر: ٣٠٦ ومختصر تاريخ العرب: ٢٠٨.

١٨٦ هـ[٦٦]، كما قيل: سنة ١٨١ هـ أيضاً[٦٧].

ودفن ـ سلام الله عليه ـ في المقبرة المعروفة منذ تمصير بغداد باسم مقابر قريش؛ بباب التبن من غربيِّ مدينة السلام؛ حيث قبره الشريف اليوم، وكان قاضي القضاة ابن خلكان قد وصف هذا المشهد ـ في النصف الثاني من القرن السابع الهجري ـ فقال:

«وعليه مشهد عظيم فيه من قناديل الذهب والفضة وأنواع الآلات والفرش ما لا يحدُّ»[٦٨].

وذكره المؤرخ ابو الفدا فقال:

«وقبره مشهور هناك، وعليه مشهد عظيم»[٦٩].

وقال الحافظ الذهبي:

«وله مشهد عظيم مشهور ببغداد»[٧٠].

وأصبح هذا المشهد المقدَّس ـ منذ ثوى الامام فيه ـ مثابة للناس في الزيارة والدعاء والتوسل؛ ومقاماً مشهوداً للابتهال الى الله فيه بقضاء الحوائج وتيسير الصعاب وكشف الهموم، حتى بلغ الأمر بشيخ الحنابلة أبي علي الحسن الخلّال حدَّ الاعلان ـ كما حدَّث عنه

(٦٦) مروج الذهب: ٣/٢٧٣ والمناقب: ٢/٣٨٣ ووفيات الأعيان: ٤/٣٩٥ والأئمة الاثنا عشر: ٩٣ وبحار الأنوار: ٤٨/٦.

(٦٧) بحار الأنوار: ٤٨/٢٠٧ وجواهر الكلام: ٢٠/٩٨ وعمدة الزائر: ٣٠٦.

(٦٨) وفيات الأعيان: ٤/٣٩٥.

(٦٩) تاريخ أبي الفدا: ٢/١٦.

(٧٠) سير أعلام النبلاء: ٦/٢٧٤.

الخطيب البغدادي ـ فقال: «ما همَّني أمرٌ فقصدتُ قبر موسى بن جعفر فتوسلتُ به الا سهَّل الله تعالى لي ما أُحبُّ»[٧١].

وقال الشاعر عبدالغفار الأخرس الموصلي في وصف المشهد في قصيدة له:

قد وَفَدْنا آلَ النبيِّ عليكم ... زَوِّدونا من رِفدكم إرفادا
بسواد الذنوب جئنا لنمحو ... ببياض الغفران هذا السوادا
وطلبنا عفو المهيمن عنّا ... وأغَضْنا الأعداءَ والالحادا
موطنٌ تنزل الملائك فيه ... ومقامٌ يُسِرُّ فيه الفؤادا[٧٢]

وقال الشاعر عبدالباقي العمري الموصلي في ختام احدى قصائده في هذا المشهد:

يا كعبة الاسلام حول ضريحكم ... نسعى ونحفد بل نطوف ونرملُ
وحياتِكم مَنْ كنتُمُ سُؤْلاً له ... بمماته في قبره لا يُسْألُ
فترحَّموا يا آل بيت المصطفى ... وتكرَّموا وتفضلوا وتقبَّلوا[٧٣]

(٧١) تاريخ بغداد: ١/١٢٠.

(٧٢) ديوان الأخرس: ٨٠ ـ ٨١.

(٧٣) ديوان العمري: ١١٤.

وقال الشاعر السيد حيدر الحلي يخاطب هذا المشهد:

إنمـا أنـت جنّـةٌ ضرب الـلـ ـهُ عليهـا كجنـة الخلد سـورا
فاخرتْ أرضُك السماءَ وقـالت: إنْ يكن مفخـرٌ فمني استُعـيرا
أتبـاهـين بـالضراح وعنـدي مَنْ غدا فيهما الضراحُ فخـورا
حـرمٌ آمـنٌ بـه أودع الـلـ ـهُ تعـالى حجابَـه المستـورا[٧٤]

(٧٤) ديوان السيد حيدر: ١/ ٣٥ ـ ٣٦.

تُرَاثُ الإِمَامَةِ

كانت خلاصة الفصل السابق بما حمل من شهادات وأقوال ونصوص: ان رجال الفكر من محدِّثي هذه الامة ومؤرخيها وسائر الباحثين المعنيين بتاريخ الامام موسى بن جعفر (ع)، على اختلاف توجهاتهم المذهبية ومشاربهم الفقهية ومدارسهم السياسية، قد تسالموا واتفقوا على كون هذا الرجل في طليعة مَنْ شخصت اليه الأبصار من فقهاء زمانه؛ وفي مقدمة من أشير اليهم بالبنان من علماء عصره[1]، وتكرر في المصادر المعروفة نقل حفّاظ الحديث عن أبي حاتم الرازي ـ باقرارٍ منهم لذلك وتصديق ـ مقولته المشهورة فيه: انه «ثقة، أمين، صدوق، إمام من أئمة المسلمين»[2].

وغير خفي على كل واعٍ ومفكرٍ ان هذه الصفات هي غاية المرام ومنتهى الطلب، وان ايماننا بموسى بن جعفر انما هو بسبب اعتقادنا الراسخ بصدقه ووثاقته وأمانته وكونه أحد أئمة المسلمين الذين عناهم رسول الله ـ ص ـ بنصوصه العامة ـ إن لم نقر بما يضاف

---

(١) الارشاد: ٣٠٧ و٣١٦ والمناقب: ٢/٣٨٣ ومطالب السؤول: ٢/٦١ والفصول المهمة: ٢١٩ وينابيع المودة: ٣٦٢ ونور الأبصار: ١٣٨ واسعاف الراغبين: ٢١١.

(٢) سير أعلام النبلاء: ٦/٢٧٠ والعبر: ١/٢٢٢ ومنهاج السنة: ٢/٢٤ و١٢٤ وتهذيب التهذيب: ١٠/٣٤٠ وشذرات الذهب: ١/٣٠٤.

اليها من نصوص التعيين الخاصة ـ، وهذا هو بالضبط ما أراده فقهاء الأحكام السلطانية من الحكم بضرورة اجتماع شروط الامامة المقررة في شخص المؤهَّل لهذا المركز الديني الخطير، وقد اجتمعت فيه بشهادة الجميع.

وعندما يتم الاتفاق والتسالم على اجتماع هذه الشروط والصفات في انسانٍ مّا دون غيره من رجالات عصره ومعارف دهره؛ تصبح قضية إمامته من المسلّمات العقيدية المفروغ منها لدى جميع ذوي الخبرة والمعرفة ـ كما سبق عرضه مبسوطاً في صدر الفصل المتقدم ـ؛ فلا تحتاج الى اضافة بحثٍ وزيادة تأكيد. وبذلك يصبح مجموع ما أُثِر عنه من الأخبار والنصوص رمزاً شامخاً من رموز تراث تلك الامامة؛ ومَعْلَماً بيِّناً من معالم ذلك العطاء الثَّرِّ الخالد الذي لا مناص لكل مسلم من الاطلاع عليه والتأمل فيه، ليستمد منه العلم المصفّى والمنهج القويم والفكر الأصيل، بحكم كونه العلم المستند الى كتاب الله تعالى؛ والمنهج المقتبس من سنة رسوله، والفكر المدَّخر لدى أهل البيت مما أوحاه ربُّ العزة وأملاه مبلِّغُ الوحي الصادقُ المصدَّق صلّى الله عليه وآله وسلّم.

وقد يسأل سائل لم يتسنَّ له الوقوف على حقائق الامور؛ أو ربما يعجب متعجِّب لم يرزق حظ التعمق في دراسة سيرة الامام ومجمل تاريخه، فيستفهم عن المنابع التي توافرت له خاصة فاستقى منها ذلك العلم الغزير المتدفق؛ وهاتيك المعارف المتنوعة الفياضة، وأصبح من ثَمَّ بتلك المثابة التي فاق بها غيره من الناس؛ وتميَّز بسببها على الآخرين من مجموع الدارسين والمعنيين.

ولعل أفضل الجواب وأبلغ الرد على مثل هذه الأسئلة الحائرة؛ أن نقرأ النصوص الآتية بتأمل وامعان، لنرى فيها الايضاح المطلوب لما أُبهم على غير العارفين المدققين من أسرار ذلك وجوانبه الخفية على النظرة السطحية الساذجة:

أ ـ روى سماعة عن أبي الحسن موسى ـ ع ـ قال: «قلتُ له: أكلُّ شيء في كتاب الله وسنة نبيه ـ ص ـ أو تقولون فيه؟، قال: بل كل شيء في كتاب الله وسنة نبيه ـ ص ـ»[٣].

وهذا النص صريح في أن المصدر الأساس لذلك العلم كله انما هو الكتاب والسنة النبوية، وليس له من مصدر آخر غير هذين؛ من اجتهادٍ أو عملٍ برأيٍ أو لجوءٍ الى ظن.

ب ـ سأل خلفُ بن حمادٍ الامام موسى بن جعفر ـ ع ـ مسألة فأجابه عليها، فقال له خلف: «جعلتُ فداك؛ مَنْ يُحْسِن هذا غيرك؟، قال: فرفع يده الى السماء وقال: اني واللهِ ما أُخبرك الا عن رسول الله عن جبرئيل عن الله تعالى»[٤].

وقد أوضح لنا هذا النص سند ما يُخبر به الامام ويحدِّث أصحابه عنه، حيث يكون الله تعالى هو الحلقة الأخيرة التي تنتهي اليها أسانيده.

ج ـ قال ابن المغيرة: «كنتُ أنا ويحيى بن عبدالله بن الحسن عند أبي الحسن ـ ع ـ، فقال له يحيى: جُعلتُ فداك، انهم يزعمون انك تعلم الغيب!، فقال... لا واللهِ؛ ما هي الا وراثة

(٣) الكافي: ١/٦٢.
(٤) المناقب: ٢/٣٧٣ وبحار الأنوار: ٤٨/١١٣.

عن رسول الله ـ ص ـ»[5].

وقد أكّد هذا النص ما ورد في الخبرين السابقين أصرح تأكيد وأجلاه.

د ـ سأل ظريفُ بن ناصحٍ الحسينَ بن زيد عن معرفة موسى بن جعفر (ع) ببعض الغيب، فقال: «وكيف لا يعرفه وعنده خطٌ علي ابن أبي طالب ـ ع ـ وإملاء رسول الله ـ ص ـ»[6].

وفي هذا النص تبيين تفصيلي للمراد من الوراثة عن رسول الله ـ ص ـ ومن الإخبار عنه ـ وقد وردا باجمالٍ في الخبرين الثاني والثالث السالفين ـ. وكنا قد عرضنا ذلك بالشرح والبيان في بحثنا عن الامام جعفر الصادق ـ ع ـ، وسطرنا هناك ما ورد في كتب الحديث المتداولة بين المسلمين والمعتمدة لديهم؛ من الروايات المتعددة عن عمر بن الخطاب وأبي سعيد الخدري وحذيفة بن اليمان وغيرهم، وهي تنص على أن النبي ـ ص ـ قد أخبر أصحابه بما هو كائن الى قيام الساعة وحدّثهم بجميع ذلك، ولكن فريقاً من اولئك الأصحاب لم يكن على مستوى هذا التكريم النبوي الكبير، ولذلك «حفظه من حفظه ونسيه من نسيه»[7].

---

(٥) أمالي الشيخ المفيد: ١٣.

(٦) بحار الأنوار: ٤٨/ ١٦٠.

(٧) يراجع في هذه الأحاديث وذكر حفظها ونسيانها: صحيح البخاري: ٤/ ١٢٩ وسنن أبي داود: ٢/ ٤١٠ وسنن الترمذي: ٤/ ٤٨٣ ـ ٤٨٤ ومسند أحمد: ٤/ ٢٥٤ و٥/ ٣٨٥ و٣٨٩ و٤٠١.

ويراجع في ذلك أيضاً كتابنا الامام جعفر الصادق ـ ع ـ: ١٦١ ـ ١٦٢.

هـ ـ وجاء في الرواية عن الامام موسى بن جعفر (ع) ـ وبها يكمل سياق الحديث عن مصادر علمه ـ قوله عليه السلام:

«مبلغ علمنا على ثلاثة وجوه: ماضٍ وغابر وحادث، فأما الماضي فمفسَّر، وأما الغابر [أي الآتي] فمزبور، وأما الحادث فقَذْفٌ في القلوب ونَقْرٌ في الأسماع»، ثم أكد في ذيل الحديث قائلاً: «ولا نبي بعد نبينا»[8].

وكان قد ورد مثل ذلك ـ وبألفاظ متقاربة ـ عن الامام الصادق (ع) فقلنا في شرحه ما فحواه: ان المراد من كلٍّ من الماضي والغابر هو المرويُّ المسطور؛ ومن النكت أو القذف في القلوب: الالهام؛ ومن النقر في الأسماع: سماع حديث الملائكة من دون رؤيتهم، أي رواية حديثهم وكأنهم يسمعونهم فيما تنزلوا به حقّاً وصدقاً على رسول الله (ص). وكلُّ ذلك باستثناء الالهام داخلٌ في المأثور عن النبي (ص) مما سمعه عليٌّ (ع) منه فحدَّث به أولاده مشافهة فرواه بعضهم عن بعض؛ أو دوَّنه في الصحف التي اشتهرت باسم «الجفر» و«الجامعة» فتناقلوه عنه[9].

وهكذا يتضح أبلغ وضوح ان كتاب الله تعالى وسنة رسوله الأكرم (ص) كانا هما المصدرين الحقيقيين الوحيدين حصراً وتعييناً لعلم الامام الكاظم ودائرة معارفه الكبرى الشاملة، وان كل ما كان يحمله من فضلٍ وفكرٍ منفرع عنهما ومستمد منهما. وكان أبوه

---

(٨) الكافي: ١/ ٢٦٤.

(٩) يراجع في تفصيل ذلك كتابنا «الامام جعفر الصادق»: ٩٧ ـ ٩٩ و١٥٥ ـ ١٦٢.

الامام الصادق ـ وهو بحر العلم وينبوع المعرفة باجماع المسلمين واتفاق الباحثين ـ طريقه الأوحد الى تناول ذلك كله، واستاذه الأكبر الذي لم يعرف استاذاً غيره، وقد تلقّى منه ما كان يحمله من أحاديث آبائه وأجداده المطهّرين، وغرف من نميره المتدفق صفو العطاء والرّواء، فكانت حصيلة تلك الاستاذية المثلى وذلك الإرث العظيم بروز هذا الانسان الملائكي الفريد؛ مجسّداً على الأرض بصورة الامام موسى بن جعفر ـ ع ـ، و﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾ وحيث يختار موضع إمامته ومستودع ولايته.

وعندما تلتقي كل هذه الخصائل والامتيازات ممثّلة بشخص الامام الكاظم (ع) وبما يعنيه هذا الالتقاء والتمثيل من معان ودلالات، يكون تراثه الفكري الضخم المبلّغ الينا بواسطة ذلك العدد الوفير من الرواة والمحدّثين والمدوّنين على درجةٍ تفوق التصور قيمة وشأناً ورفعة، وبمقامٍ لايسعنا التعبير عنه باسمٍ أصح أو أصدق من كونه تراث الامامة وكنزها الموروث، بكل ما يُفتَرض للامامة من قدسية وعمق غورٍ وسعة نظر؛ ولتراثها الواسع من انديا‌ح مجالات وامتداد أبعاد.

★★★

ومن هنا كان اهتمامنا في هذا البحث متوجهاً الى تسجيل بعض الاشارات والقاء بعض الأضواء؛ على فقرات من ذلك التراث الزاهر؛ ولمحات من ذلك المأثور المتألق، للوقوف على جوانب من تلك المرامي والأغراض التي اراد الامام إبلاغها الى سامعيه ورواة حديثه؛ والى أجيال المسلمين من بعده؛ على مرّ العصور وكرّ الأزمان.

ويأتي في طليعة ما حمله ذلك المأثور عن الامام موسى بن جعفر (ع) تأكيده المشدَّد وعنايته الفائقة بتكريم العقل وتقديسه، لكونه حجة الحجج وأصل الاصول في التكليف الدنيوي والحساب الاخروي، حيث لا يكمل الايمان ولا تنضج البصيرة ولايُضْمَن الفهم السليم والعمل القويم الا بتحكيم العقل وبالتحرك الدقيق في ضوء دلالته وهداه. وكان مما قال في هذا الصدد:

«ان الله تبارك وتعالى بشّر أهل العقل والفهم في كتابه فقال: ﴿فبشّرْ عبادِ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، اولئك الذين هداهم الله واولئك هم اولو الألباب﴾. ان الله تبارك وتعالى أكمل للناس الحجج بالعقول، وأفضى اليهم بالبيان، ودلّهم على ربوبيته بالأدلاّء. . . . ان الله يقول ﴿ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب﴾ يعني العقل، وقال: ﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة﴾ يعني الفهم والعقل».

ثم قال: «ان لله على الناس حجتين: حجة ظاهرة وحجة باطنة، فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة، وأما الباطنة فالعقول»[10]، ثم روى عن جدِّه عليّ أمير المؤمنين ـ ع ـ قوله: «ما من شيء عُبدالله به أفضل من العقل» و«ما قسم بين العباد أفضل من العقل»[11].

---

(١٠) الكافي: ١/١٥ ـ ١٦ وتحف العقول: ٢٨٦ ـ ٢٨٨.
(١١) الكافي: ١/١٨ وتحف العقول: ٢٩٠ و٢٩٦.

وقال أيضاً:

«من أراد الغنى بلا مال؛ وراحة القلب من الحسد؛ والسلامة في الدين؛ فليتضرع الى الله في مسألته بأن يكمل عقله، فمن عقل قنع بما يكفيه، ومن قنع بما يكفيه استغنى، ومن لم يقنع بما يكفيه لم يدرك الغنى أبداً»[١٢].

ومن أقواله الذهبية في هذا الموضوع أيضاً:

«ان ضوء الروح العقل؛ فاذا كان العبد عاقلاً كان عالماً بربه، واذا كان عالماً بربه أبصر دينه»[١٣].

ولما كان المراد من العقل في هذه النصوص هو النضج المثمر والوجود الفاعل المؤثر ـ وليس ما يقابل الجنون الذي يعني فقدان السيطرة على الشعور المنضبط والاحساس المتّزن ـ كان الانسان المجرد من المعرفة والمحروم من التعلّم وإن كمل عقله وحسن فهمه؛ محكوماً بالنقص الذي لايُنْكَر ولا يُسْتَر؛ بسبب جهله المخلّ بدوره الانساني النافع لنفسه ومجتمعه، ولذلك أضاف الامام الى ما تقدم منه في تكريم العقل التنبيهَ على أهمية العلم وشأنه الكبير وأثره العظيم في بناء الأفراد والمجتمعات، وكان مما روي عنه في ذلك قوله:

«زاحموا العلماء في مجالسهم ولو حبواً على الرُّكَب، فان الله يحيي القلوب الميتة بنور الحكمة كما يحيي الأرض الميتة بوابل المطر»[١٤].

---

(١٢) الكافي: ١/١٨ وتحف العقول: ٢٨٩.
(١٣) تحف العقول: ٢٩٦.
(١٤) تحف العقول: ٢٩٣.

وقال: «تعلّم من العلم ما جهلتَ، وعَلِّم الجاهل ما علمتَ»[١٥].

وقال: «مَنْ أكرمه الله بثلاث فقد لطف له: عقل يكفيه مؤونة هواه، وعلم يكفيه مؤونة جهله، وغنى يكفيه مخافة الفقر»[١٦].

وقال أيضاً: «قليل العمل من (العاقل) العالم مقبول مضاعف، وكثير العمل من أهل الهوى والجهل مردود»[١٧].

وقال: «محادثة العالم على المزابل خير من محادثة الجاهل على الزرابي»[١٨].

وقال أيضاً: «ان كل الناس يبصر النجوم؛ ولكن لا يهتدي بها الا مَنْ يعرف مجاريها ومنازلها. وكذلك أنتم تدرسون الحكمة؛ ولكن لا يهتدي بها منكم الا مَنْ عمل بها»[١٩].

وكان من أقواله في تكريم العلم وتفضيله على نوافل العبادة ومستحباتها هذه الكلمة الذهبية الخالدة: «فقيه واحد. . . . أشد على ابليس من ألف عابد، لأن العابد همُّه ذات نفسه فقط، وهذا همُّه مع ذات نفسه ذات عباد الله وإمائه. . . . . ، ولذلك هو أفضل عند الله من ألف عابد وألف ألف عابد»[٢٠].

---

(١٥) المصدر نفسه: ٢٩٤.
(١٦) المصدر نفسه ايضاً: ٢٩٨.
(١٧) الكافي: ١/١٧ وتحف العقول: ٢٨٩.
(١٨) الكافي: ١/٣٩.
(١٩) تحف العقول: ٢٩٢.
(٢٠) الاحتجاج: ٢١٥.

ولكي يكون العلم في جانبه الديني مرضياً عند الله تعالى ومحققاً هدفه الكبير في تعزيز الايمان وترسيخ الاعتقاد والابتعاد عما يسخط الله عز وجل، نهى الامام نهياً باتّاً عن الأخذ بالبدع؛ وحذّر أشد التحذير من العمل بالرأي خلافاً لحكم الله ونصّ رسوله ـ ص ـ، وفي ذلك يقول مخاطباً أحد أصحابه:

«لا تكوننَّ مبتدعاً، من نظر برأيه هلك، ومن تـرك أهل بيت نبيه ـ ص ـ ضلَّ، ومن ترك كتاب الله وقول نبيه ـ ص ـ كفر»[٢١].

ولما كان القياس في بعض حالاته ضرباً من ضروب الابتداع؛ ولوناً من ألوان الأخذ بالرأي، فقـد نهى ـ عليه السـلام ـ أصرح النهي عن العمل بالقياس في تقرير حكم النظير والمشابه إن لم تكن العلّة المشـتركة منصـوصة بصريـح اللفظ، وجاء في الـرواية عن سماعة بن مهران انه قال للامام ذات يوم: «انّا نجتمع فنتذاكر ما عندنا، فلا يرد علينا شيء الا وعندنا فيه شيء مسـطّر، وذلك مما أنعم الله به علينا بكم. ثم يرد علينا الشيء الصغير ليس عندنا فيه شيء؛ فينـظر بعضنا الى بعض؛ وعنـدنا مـا يشبهـه فنقيس عـلى أحسنـه؟. فقال: مـا لكم وللقياس. انمـا هلك مَنْ هلك قبلكم بالقياس»[٢٢].

★★★

وعندما يمتد بنا استعراض تراث الامامة؛ بعد وقوفنـا على مـا

(٢١) الكافي: ١/٥٦.
(٢٢) الكافي: ١/٥٧.

عُني به الامام من بيان دور العقل في مسيرة الانسان والحياة؛ ودور العلم في بناء الأفراد والمجتمعات ونموهـا المتحرك المثمـر، نلمس الاهتمام الكبير والوجود البارز للموضوعات الفلسفية والكلامية في هـذا التراث أيضـاً، حيث بحث الامام شؤون الخلق والخـالق؛ ومسائل التوحيد والصفـات؛ وقضايـا العدل الالهي؛ وشبهـات الجبر والقدر والتفويض؛ وغير ذلك مما ماثل وشاكل من فروع تلك الموضوعات ومداخلاتها الكثيرة المتشعبة، مما لا مجال لسرده في هذه الصفحات الضيقة المحدودة.

ومما رُوي عنه في هذه المسائل ـ على سبيل المثال ـ قوله لأيـوب ابن نوح لما كتب اليه يسأله عن الله عز وجل: أكان يعلم الأشيـاءَ قبل خلقها وتكوينها؛ أو لم يعلم ذلك حتى خلقها «فعلم مـا خَلَق عندما خَلَق وما كوّن عندما كوّن؟ فوقّع بخطه: لم يزل الله عالمـاً بـالأشياء قبـل أن يخلق الأشياء؛ كعلمـه بالأشيـاء بعـدمـا خلق الأشياء»[٢٣].

وذُكِرَ عنده يوماً قـومٌ يزعمـون ان الله تبارك وتعـالى ينزل الى السماء الدنيا، فقال:

«ان الله لا ينزل، ولا يحتاج الى أن ينزل، انما منظره في القرب والبعد سواء، لم يبعد منه قريب؛ ولم يقرب منه بعيد، ولم يحتج الى شيء بل يُحْتاج اليه. . . . أما قول الواصفـين: انه ينـزل ـ تبارك وتعالى ـ فانما يقول ذلك مَنْ ينسبه الى نقص أوزيادة، وكل متحركٍ

(٢٣) الكافي: ١/١٠٧.

محتاجٌ الى مَنْ يحرِّكه أو يتحرَّك به، فمن ظنَّ بالله الظنون هلك»[٢٤].

ومما أُثر عنه في مسألة العدل الالهي نافياً مزاعم الجبريَّة:

«ان الله خلق الخلق فعلم ما هم اليه صائرون؛ فأمرهم ونهاهم، فما أمرهم به من شيء فقد جعل لهم السبيل الى الأخذ به، وما نهاهم عنه من شيء فقد جعل لهم السبيل الى تركه، ولا يكونون آخذين ولا تاركين الا باذنه. وما جبر الله أحداً من خلقه على معصيته، بل اختبرهم بالبلوى، وكما قال: ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾[٢٥].

وقال في بيان أسباب تنوُّع معجزات الأنبياء وعدم تشابهها؛ لما سُئل فقيل له: «لماذا بعث الله موسى بن عمران ـ ع ـ بالعصا ويده البيضاء وآلة السحر، وبعث عيسى ـ ع ـ بآلة الطب، وبعث محمداً ـ ص ـ بالكلام والخطب؟. فقال ابو الحسن (ع):

«ان الله لما بعث موسى ـ ع ـ كان الغالب على أهل عصره السحر؛ فأتاهم من عند الله بما لم يكن في وسعهم مثله؛ وما أبطل به سحرهم؛ وأثبت به الحجة عليهم. وان الله بعث عيسى ـ ع ـ في وقتٍ ظهرت فيه الزمانات واحتاج الناس الى الطب، فأتاهم من عند الله بما لم يكن عندهم مثله؛ وبما أحيا لهم الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص باذن الله؛ وأثبت به الحجة عليهم. وان الله بعث

(٢٤) الكافي: ١/١٢٥ والاحتجاج: ٢٠٩ ـ ٢١٠.
(٢٥) الاحتجاج: ٢١٠.

محمداً ـ ص ـ في وقتٍ كان الغالب على أهل عصره الخطب والكلام، فأتاهم من عند الله من مواعظه وحكمه ما أبطل به قولهم وأثبت به الحجة عليهم».

فقال له السائل: «فما الحجة على الخلق اليوم؟»

«فقال: العقل، يعرف به الصادق على الله فيصدقه، والكاذب على الله فيكذبه»[٢٦].

★★★

وعندما ننتقل من مسائل الكلام والفلسفة الى شؤون الفقه وأحكام العبادات والمعاملات والايقاعات والعقود؛ وسائر ما يدخل تحت عنوان الأحوال الشخصية والقضايا الجنائية، نجد ان الروايات عنه في هذه الشؤون قد تجاوزت نطاق العدِّ وأصبحت من الكثرة بمكان، وقد تكفلت بايرادها كتب الحديث والفقه؛ وفي مقدمتها مصادر الحديث الكبرى الأربعة المشهورة لدى الشيعة الامامية، وهي: كتاب الكافي لمحمد بن يعقوب الكليني المتوفى سنة ٣٢٩هـ؛ وكتاب من لا يحضره الفقيه لعلي بن الحسين الصدوق المتوفى سنة ٣٨١هـ؛ وكتابا الاستبصار والتهذيب لمحمد ابن الحسن الطوسي المتوفى سنة ٤٦٠هـ.

ويظهر من بعض النصوص المأثورة عن الامام ان هناك مَنْ كان يعترض عليه في أحكامه وفتاواه؛ فلا يجد مناصاً من اضافة شرحٍ وزيادة استدلالٍ؛ لاقناع خصمه بصواب قوله وصحة فتواه.

(٢٦) الكافي: ١/٢٤ ـ ٢٥.

وكان من جملة ما رُوي في ذلك: ان محمد بن الحسن الشيباني سأله يوماً «بمحضرٍ من الرشيد وهم بمكة؛ فقال له: أيجوز للمحرم أن يظلِّل عليه محمله؟، فقال له موسى ـ ع ـ: لا يجوز له ذلك مع الاختيار، فقال محمد بن الحسن: أفيجوز أن يمشي تحت الظلال مختاراً؟، فقال له: نعم. فتضاحك محمد بن الحسن من ذلك، فقال له أبو الحسن موسى ـ ع ـ: أفتعجب من سنة النبي ـ ص ـ وتستهزىء بها!، ان رسول الله ـ ص ـ كشف ظلاله في إحرامه؛ ومشى تحت الظلال وهو محرم، وان أحكام الله يا محمد لا تقاس، فمن قاس بعضها على بعض فقد ضل سواء السبيل»[27].

وروى الكليني أيضاً هذه المحاورة غير انه ذكر ان السائل كان أبا يوسف القاضي، وأورد في جواب الامام له قوله: «انا صنعنا كما صنع رسول الله ـ ص ـ وقلنا كما قال. . . . كان يركب راحلته فلا يستظل عليها. . . . واذا نزل استظل بالخباء وفي البيت وفي الجدار»[28].

وفي لفظ آخر لهذا الخبر في بعض المصادر: «ان أبا يوسف أمره الرشيد بسؤال موسى بن جعفر ـ ع ـ، فقال: ما تقول في التظليل للمحرم؟، قال: لا يصلح، قال: فيضرب الخباء في الأرض ويدخل البيت؟، قال: نعم. قال: فما الفرق بين الموضعين؟،

(٢٧) الارشاد: ٣١٨.
(٢٨) بحار الأنوار: ٤٨/١٧١.

قال ابو الحسن: ما تقول في الطامث أتقضي الصلاة؟، قال: لا، قال: فتقضي الصوم؟، قال: نعم، قال: ولِمَ؟، قال: هكذا جاء. قال أبو الحسن: وهكذا جاء»[29].

واعترض عليه يوماً معترضٌ؛ لأنه رضي بمرور الناس أمامه وهو يصلي ولم يره مبطلاً للصلاة، فقال الامام ـ ع ـ:

«ان الذي كنتُ أُصلّي له كان أقرب اليَّ منهم، يقول الله عز وجل: ﴿ونحن أقرب اليه من حبل الوريد﴾[30].

★★★

وكما كانت عناية الامام فيما تلقينا من تراثه المأثور قد بلغت مبلغاً كبيراً في معالجة شؤون الفكر الديني على صعيد علوم الكلام والتفسير والفقه والفرائض، كانت عنايته بقضايا السلوك الانساني والتكافل الاجتماعي والروابط الأخلاقية التي ترص الصفوف وتُحكم العلائق بين الناس قد بلغت مثل ذلك المبلغ كثرة ووفرة، وروى عنه الرواة في هذه الموضوعات من التعليمات والتوجيهات والتنبيهات ما لا يسعنا استيعابه واثباته، وجاء في بعضها قوله:

«مَنْ قصد اليه رجل من اخوانه مستجيراً به في بعض أحواله فلم يُجِرْه بعد أن يقدر عليه فقد قطع ولاية الله عز وجل»[31].

(٢٩) الاحتجاج: ٢١٤ والمناقب: ٢/٣٧٥ ـ ٣٧٦.
(٣٠) الكافي: ٣/٢٩٧ والمناقب: ٢/٣٧٣.
(٣١) الكافي: ٢/٣٦٦.

«مَنْ أتاه أخوه المؤمن في حاجة فانما هي رحمة من الله عز وجل ساقها اليه؛ فإن قبل ذلك فقد وصله بولايتنا، وهو موصول بولاية الله عز وجل. وإن ردَّه عن حاجته وهو يقدر على قضائها سلَّط الله عليه شُجاعاً من نارٍ ينهشه في قبره الى يوم القيامة»[٣٢].

وروى عن جده رسول الله ـ ص ـ قوله: «مَنْ أصبح وهو لا يهمُّ بظلم أحدٍ غفر الله له ما اجترم»[٣٣].

وجاء في أقوال الامام أيضاً: «ان لله عباداً في الأرض يسعون في حوائج الناس؛ هم الآمنون يوم القيامة. ومَنْ أدخلَ على مؤمنٍ سروراً فرَّح الله قلبه يوم القيامة»[٣٤].

وطلب أحد المؤمنين من الامام أن يوصيه ويرشده «فقال له: احفظ لسانك تعزّ، ولاتمكّن الناس من قيادك فتذل رقبتك»[٣٥].

ومن أقواله التوجيهية: «اذا كان ثلاثة في بيتٍ فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما فان ذلك مما يغمه»[٣٦].

وقال أيضاً: «اذا كان الرجل حاضراً فكَنِّه، واذا كان غائباً فسَمِّه»[٣٧].

---

(٣٢) الكافي: ٢/٣٦٨. والشجاع المذكور في الخبر ضربٌ من الأفاعي.
(٣٣) الكافي: ٢/٣٣٤.
(٣٤) الكافي: ٢/١٩٧.
(٣٥) الكافي: ٢/١١٣.
(٣٦) الكافي: ٢/٦٦٠
(٣٧) الكافي: ٢/٦٧١.

ومن أقواله في هذا الباب: «لاتستكثروا كثير الخير، ولا تستقلوا قليل الذنوب؛ فان قليل الذنوب يجتمع حتى يصير كثيراً. وخافوا الله في السرِّ حتى تعطوا من أنفسكم النَصَف، وسارعوا الى طاعة الله، واصدقوا الحديث، وأدوا الأمانة؛ فانما ذلك لكم، ولا تدخلوا فيما لا يحل لكم؛ فانما ذلك عليكم»[٣٨].

ثم لم يكتف الامام (ع) بالتوجيهات العامة التي خاطب بها جمهور المسلمين في حثهم على ضرورة التآخي والتماسك والتراحم والتعاطف؛ والسعي في قضاء الحوائج؛ والالتزام بصدق الحديث وأداء الأمانة، حتى خصَّ شيعته بزيادةٍ في الاخلاص والتمحيص، ليكونوا على مستوى ادعائهم الانتساب لأهل البيت (ع) ونهجهم في مطابقة الأفعال للأقوال؛ وفي حسن التصرف وسلامة النية ومحاسبة النفس، فقال عنهم ذات يوم:

«لو تمحصتهم لما خلص من الألف واحد، ولو غربلتهم لم يبق منهم الا ما كان لي. انهم طال ما اتُّكوا على الأرائك فقالوا: نحن شيعة علي. انما شيعة عليّ مَنْ صدَّق قولَه فعلُه»[٣٩].

ومن أقواله في ذلك أيضاً: «ليس منّا من لم يحاسب نفسه في كل يوم، فإن عمل حَسَناً استزاد الله، وإن عمل سيئاً استغفر الله منه وتاب اليه»[٤٠].

---

(٣٨) الكافي: ٢/٤٥٧ ـ ٤٥٨.
(٣٩) الكافي: ٨/٢٢٨.
(٤٠) الكافي: ٢/٤٥٣.

ولم يغفل الامام في مجموع افاداته وأماليه عن ارشاد الناس الى ضرورة حسن الاستثمار وجودة التصرف في أثمن ما يملك الانسان في هذه الدنيا ـ مما لا يُعَوَّض فائته ولايُرَدُّ ذاهبه ـ وهو الوقت، فحذَّرهم من اضاعته فيما لا جدوى فيه من ترَّهات الأعمال؛ وهدره فيما لا نفع به من توافه الشواغل وسفاهات الأفعال، وفي ذلك يقول:

«اجتهدوا في أن يكون زمانكم أربع ساعات: ساعة لمناجاة الله، وساعة لأمر المعاش، وساعة لمعاشرة الاخوان والثقات الذين يعرِّفونكم عيوبكم ويخلصون لكم في الباطن، وساعة تخلون فيها للذّاتكم في غير محرَّم»[41].

ثم دلَّهم على أفضل ملجأ يلجأون اليه عند الشدة؛ وآمن حصنٍ يتحصنون فيه عند مداهمة الأخطار؛ وأنجع وسيلة يتوسلون بها للخلاص مما يطرأ عليهم من بلاء الدنيا وشرور الحياة، فقال حاثّاً وموجِّهاً:

«ما من بلاء ينزل على عبدٍ مؤمن فيلهمه الله الدعاء الاّ كان كشف ذلك البلاء وشيكاً، وما من بلاء ينزل على عبدٍ مؤمن فيمسك عن الدعاء الا كان ذلك البلاء طويلاً، فاذا نزل البلاء فعليكم بالدعاء والتضرع الى الله عز وجل[42]».

★★★

وعندما نستمر بالتطواف في رياض ذلك التراث؛ بعد فراغنا من استعراض جميع الجوانب السالفة الذكر التي أولاها الامام (ع)

(٤١) تحف العقول: ٣٠٧.
(٤٢) الكافي: ٢/ ٤٧١.

الكثير أو الأكثر من اهتمامه وعنايته؛ مما يتعلق بمسائل التوحيد والالوهية؛ والايمان والاعتقاد؛ والفقه والتفسير؛ والسلوك والأخلاق؛ وغير ذلك مما تقدمت بضعة مقتبسات منه ـ نجد في خلال ما بقي من ذلك المأثور ما لا يستهان به من الاشارات العلمية والأقوال الحكمية والتنبيهات المنطوية على ما يعزِّز العلاقات الانسانية والروابط العاطفية؛ مضافاً الى ما روى الرواة في تلك النصوص من لمحات الأدب ولمسات الاستشهاد بالشعر الفصيح المليح في بعض الأحيان.

ومن أمثلة ذلك هذه الاشارة العلمية التي رواها عبدالله بن سنان فقال:

«سمعتُ أبا الحسن ـ ع ـ يقول: طبايع الجسم على أربعة: فمنها الهواء الذي لا تحيا النفس الا به وبنسيمه. ويُخرج ما في الجسم من داء وعفونة. والأرض التي قد تولِّد اليبس والحرارة. والطعام ومنه يتولد الدم، ألا ترى انه يصير الى المعدة فيغذيه حتى يلين، ثم يصفو فتأخذ الطبيعة صفوه دماً ثم ينحدر الثفل. والماء وهو يولِّد البلغم»[43].

كما ان من أمثلة أقواله الحكمية هذه الحكمة البالغة العظيمة المعاني والدلالات، وقد رواها عبدالرحمن بن الحجاج قال:

(٤٣) الكافي: ٨/ ٢٣٠.

«قال لي ابو الحسن ـ ع ـ: اتَّقِ المرتقى السهل اذا كان منحدره وعراً»[٤٤].

ولعل من أعمق ما رُوي عنه في تعزيز الروابط الزوجية والعلاقات العاطفية بين الآباء والأولاد الصغار قوله المأثور:

«ليس القبلة على الفم الا للزوجة والولد الصغير»[٤٥].

أما استشهاد الامام بالشِّعر المحفوظ فتكفينا فيه الأمثلة الثلاثة الآتية:

أ ـ ذُكِرَ ان موسى الهادي قد هم به»، فسأل الامام أهل بيته: «بِمَ تُشيرون؟، قالوا: نرى أن تتباعد عنه.. فانه لايُؤمَن شرُّه»، فقال مستشهداً ببيت كعب بن مالك الأنصاري:

زعمتْ سخينةُ أن ستغلب ربَّها وليغلبنَّ مُغالبُ الغَلاّبِ[٤٦]

ب ـ ومن الشعر الذي كان يستشهد به:

نواصل مَنْ لا يستحق وصالنا مخافة أن نبقى بغير صديقِ[٤٧]

ج ـ ورُوي انه ـ ع ـ كان كثيراً ما ينشد هذا البيت:

فـإنْ يـكُ يـا أُميم عَـليَّ دينٌ فعمران بن موسى يستدينُ[٤٨]

(٤٤) الكافي: ٢/٣٣٦.
(٤٥) تحف العقول: ٣٠٦. والولد في اللغة العربية يعم الذكر والانثى.
(٤٦) نثر الدر: ١/٣٥٨.
(٤٧) تحف العقول: ٣٠٩.
(٤٨) بحار الأنوار: ٤٨/١١٦ ـ ١١٧.

هذه أمثلة ومقتطفات من تراث الامامة الذي عُنيت بتدوينه كتب الحديث ومصادر الفكر الديني والثقافة الاسلامية؛ وكما بلَّغه الرواة الأوائل فيما أسندوه مشافهة عن الامام موسى بن جعفر (ع) مما وعوه واستوعبوه فحدَّثوا بما سمعوا وحفظوا منه، وتعدُّ قائمة أسماء اولئك الرواة ـ وهم مآت كُثْر ـ هي المفتاح الأوحد لباب الاهتداء الى كنوز ذلك التراث ونفائس مدينته الفاضلة، وكان لهؤلاء الفضل الأكبر على جميع الأجيال والقرون منذ عصرهم حتى اليوم؛ بما أنهوا الينا من فكر الامام وعلمه؛ وما أبلغونا به من ذلك الزاد الثقافي الهنيء والغذاء المريء، ويقول السيد أمير علي الهندي بعد أن يذكر وفاة الامام الصادق (ع) والخسارة العلمية التي شملت الامة بفقدان هذا الامام الكبير:

«غير أن الحلقة العلمية ـ لحسن الطالع ـ لم تتوقف بوفاته، إذ طفقت تزدهر برئاسة ابنه موسى الملقَّب بالكاظم»[١].

وكانت هذه المرويات والمأثورات احدى حسنات تلك الحلقة العلمية المزدهرة التي ذكرها الباحث؛ واحدى بركاتها الكبرى الخالدة.

(١) مختصر تاريخ العرب: ١٩٤.

ولما كان الامام على امتداد أيام حياته من قاطني المدينة المنوَّرة، وكانت الرقعة الاسلامية في الكرة الأرضية يومذاك في أوج الاتساع والانتشار، لم يكن بامكان السائلين والمستفهمين الراغبين في معرفة حكم الشرع ورأي الدين؛ أن يحضروا الى المدينة لملاقاة الامام وسماع ما يفتيهم به فيما يريدون معرفته والوقوف على وجه الصواب فيه، بل كان بين هؤلاء المؤمنين المنتشرين في أصقاع العالم الاسلامي من لا يجد وسيلة لذلك الا مكاتبة الامام للسؤال منه عما يخص شؤون دينه أو هموم دنياه ومشاكلها المستجدة على الدوام، وكان الامام يتلقى تلك الكتب برحابة صدر؛ ويقرأها بامعان؛ ويحرر لهم أجوبة ذلك كتابة أيضاً[2].

ويبدو من قراءة تلك المكاتبات والجوابات ان الامام لم يكن يكتفي في بعض الأحيان بمجرد الرد على مورد السؤال وبيان الحكم الشرعي فيه، وانما كان يتعدى هذا الجانب بعد الاجابة عليه الى التنبيه على امور اخرى ليست من صلب المطلب الذي حُرِّر الكتاب لأجله، ولكنها ذات مساس بصاحب الرسالة فيما يتعلق بوهم فكري قد سقط فيه[3]؛ أو شأن دنيوي قد جهله أو غفل عما

(٢) يراجع في شواهد ذلك كتاب الكافي: ٣/١٨ و١٥٥ و١٩٧ و٣١٥ و٣٢٦ و٣٢٨ و٣٣٠ و٣٣٢ و٣٤٠ و٣٤٦ و٣٨٠ و٣٩٩ و٥١٠ و٥٣٩ و٨/٣٨٤.

(٣) كما في كتاب عبدالله بن يحيى وقد جاء فيه قوله: «الحمد لله منتهى علمه»، فكتب الامام اليه مجيباً على أسئلته؛ ثم ذكر الجملة المشار اليها وخاطبه معلِّقاً عليها: «لا تقولنَّ منتهى علمه؛ فانه ليس لعلمه منتهى، ولكن قل: منتهى رضاه» تحف العقول: ٣٠٥.

ينطوي عليه من نتائج غير محمودة العاقبة[4].

★★★

وعلى كل حال؛ وعلى الرغم من جميع ما أسلفنا ذكره من النصوص المأثورة عن الامام موسى بن جعفر (ع) وهي غيض من فيضه الزاخر وعبابه المتدفق، فليس لنا أن ندَّعي الاطلاع التفصيلي على تراث الامامة الذي نحاول في هذه العجالة بحثه ومعرفة سبل الوصول اليه والوقوف عليه، الا اذا استعرضنا ذلك الجمع الحاشد من الرواة عنه والمشافهين له، بحكم كونهم الباب الذي ينفتح مصراعاه على ذلك الموروث القيم الذي تلقيناه عن الامام؛ ومازلنا نعيش حتى اليوم أفياء خيره ونعيمه؛ وظلال عطائه ونمائه، فيما نجده ماثلاً في المصادر الاولى التي حملت ذلك الارث الخالد؛ وفيما تناقلته الأجيال المعنية جيلاً بعد جيل.

وأمرٌ يجب أن يسجَّل بفخر واعتزاز ان النوابغ البارعين من حضار مجلس الامام وحلقة درسه؛ ومن المتلقين الواعين الذين سمعوا منه وشافهوه؛ قد بادروا أولاً بأول الى تسجيل تلك الأمالي والمسموعات في مدوَّنات خصَّصوها لهذا الغرض سمّاها بعضهم

(٤) كما في قضية الدرّاعة التي أهداها الرشيد لحاجبه علي بن يقطين فبعث بها ابن يقطين هدية الى الامام، فردَّها الامام اليه وكتب اليه يأمره بالاحتفاظ بها لأنه سيحتاج اليها في الأيام القادمة. ويراجع في تفاصيل أمر هذه الدراعة: الارشاد: ٣١٣ ـ ٣١٤ والمناقب: ٢/٣٥٦ والفصول المهمة: ٢١٨ ـ ٢١٩ وبحار الأنوار: ٤٨/١٣٧ ـ ١٣٨ ونور الأبصار: ١٣٧.

«الاصول»، وربما أضافوا فيها الى تلك المشافهة من الامام الكاظم (ع) ماروووه مباشرة أو إسناداً عن أئمة أهل البيت السابقين عليهم السلام، وكان منهم من بوَّب تلك الروايات بحسب مطالبها وموضوعاتها؛ فجعل كل ما يتعلق بموضوع منها في كتاب خاص مستقل باسمه ومحتواه.

ونقتصر فيما يأتي ـ رعايةً لما التزمنا به من الاختصار والايجاز ـ على ذكر اولئك المؤلفين بالخصوص؛ وإثبات ما أورده مترجموهم من أسماء مؤلفاتهم ومصنفاتهم[1]، مع تسجيل أسمى مشاعر الاحترام والتقدير لهم؛ بحكم كونهم الممثِّلين حقاً لطلائع البحث والجمع والتدوين في التاريخ العربي الاسلامي، والرواد المتقدمين في هذا الميدان في المائة الهجرية الثانية:

(١) عُني الباحث المرحوم الشيخ عناية الله علي القهبائي المتوفى في القرن الحادي عشر الهجري بجمع كتاب رجال الكشي (من مؤلفي النصف الأول من القرن الرابع) وكتاب رجال ابن الغضائري (من مؤلفي النصف الأول من القرن الخامس) وكتاب رجال النجاشي المتوفى سنة ٤٥٠ هـ وكتاب الرجال وكتاب الفهرست للطوسي المتوفى سنة ٤٦٠هـ، فأورد هذه الكتب بألفاظها مع تمييز نصِّ كل واحد منها منفرداً مستقلاً عن غيره، وسمى هذا المجموع (مجمع الرجال)، وهو مطبوع في سبعة أجزاء.

وقد رجعنا الى هذا الكتاب ـ؛ بما تضمن من نصوص تلك الكتب ـ في ضبط أسماء المؤلفين الرواة عن الامام موسى بن جعفر (ع) وفي تبيين أسماء كتبهم ورمزنا له بـ«مجمع»، كما رجعنا في ذلك الى فهرست ابن النديم أيضاً.

ـ أ ـ

١ ـ أبان بن عثمان الأحمر، البجلي الكوفي، له من المؤلفات:

أ ـ أصلٌ.

ب ـ كتاب المغازي: وهو كتاب يجمع المبتدأ والمبعث والمغازي والوفاة والسقيفة والردة، وهي كتاب واحد يجمع هذه الكتب. (مجمع: ١/ ٢٥ ـ ٢٧)

٢ ـ ابراهيم بن أبي البلاد، الكوفي:

له كتابٌ. (مجمع: ١/ ٣١)

٣ ـ ابراهيم بن أبي محمود، له من المؤلفات:

كتاب مسائل موسى ـ ع ـ، قدر خمس وعشرين ورقة. (مجمع: ١/ ٣٦)

٤ ـ ابراهيم بن عبدالحميد، له من المؤلفات:

أ ـ أصلٌ.

ب ـ كتاب النوادر. (مجمع: ١/ ٥٣)

٥ ـ ابراهيم بن عثمان، اليماني:

له كتابٌ. (مجمع: ١/ ٥٩)

٦ ـ ابراهيم بن مهزم، الأسدي الكوفي:

له كتابٌ. (مجمع: ١/ ٧٤)

٧ ـ أحمد بن الحارث:

له كتابٌ. (مجمع: ١/ ١٠٠)

٨ ـ أحمد بن الحسن، الميثمي:

له كتاب نوادر. (مجمع: ١/ ١٠٢)

٩ ـ أحمد بن الفضل، الخزاعي:
له كتاب نوادر. (مجمع: ١/١٣٤)
١٠ ـ أحمد بن محمد بن أبي نصر، البزنطي، المتوفى سنة ٢٢١هـ، له من المؤلفات:
أ ـ كتاب الجامع.
ب ـ كتاب ما رواه عن الرضا (ع).
ج ـ كتاب المسائل.
د ـ كتاب النوادر. (الفهرست: ٢٧٦ ومجمع: ١/١٥٩ ـ ١٦١).
١١ ـ اسحاق بن جرير:
له كتابٌ. (مجمع: ١/١٨٥ ـ ١٨٦)
١٢ ـ اسحاق بن عمار:
له كتاب نوادر. (مجمع: ١/١٩٥)
١٣ ـ اسماعيل بن جابر:
له كتابٌ. (مجمع: ١/٢٠٨)
١٤ ـ اسماعيل بن موسى بن جعفر (ع): له كتب مبوَّبة، منها:
أ ـ كتاب الجنائز.
ب ـ كتاب الحج.
ج ـ كتاب الحدود.
د ـ كتاب الدعاء.
هـ ـ كتاب الديات.
و ـ كتاب الرؤيا.

ز ـ كتاب الزكاة.
ح ـ كتاب السنن والآداب.
ط ـ كتاب الصلاة.
ي ـ كتاب الصوم.
ك ـ كتاب الطلاق.
ل ـ كتاب الطهارة.
م ـ كتاب النكاح. (مجمع: ١/٢٢٤ ـ ٢٢٥).
١٥ ـ أُميَّة بن عمرو، الشعيري:
له كتابٌ. (مجمع: ١/٢٣٨)
١٦ ـ أيوب بن الحر، الجعفي:
له كتابٌ. (مجمع: ١/٢٤٥)

ـ ب ـ

١٧ ـ بشر بن سلمة، أبو صدقة:
له كتابٌ. (مجمع: ١/٢٦٧)
١٨ ـ بكر بن محمد، الأزدي:
له كتابٌ. (مجمع: ١/٢٧٧)
١٩ ـ بكر بن محمد بن جناح، أبو محمد، الكوفي:
له كتابٌ. (مجمع: ١/٢٧٨)

- ث -

٢٠ ـ ثابت بن دينار، أبو حمزة، الثمالي الكوفي، المتوفى سنة ١٥٠هـ، له من المؤلفات:

أ ـ تفسير القرآن.

ب ـ رسالة الحقوق التي يرويها عن الامام علي بن الحسين (ع).

ج ـ كتاب نوادر. (مجمع: ١/٢٩٤ ـ ٢٩٥)

٢١ ـ ثعلبة بن ميمون، أبو اسحاق:

له كتابٌ. (مجمع: ١/٣٠١)

- ج -

٢٢ ـ جميل بن دراج، النخعي، له من المؤلفات:

أ ـ كتابٌ من تأليفه رواه عنه جماعات من الناس وطرقه كثيرة.

ب ـ كتاب اشترك هو ومحمد بن حمران فيه.

ج ـ كتاب اشترك مع مرازم بن حكيم فيه.

(مجمع: ٢/٥١ ـ ٥٢)

- ح -

٢٣ ـ الحسن بن أيوب:

له كتاب النوادر. (مجمع: ٢/٩٩)

٢٤ ـ الحسن بن الجهم بن بكير بن أعين:

له كتاب مسائل. (مجمع: ٢/١٠٠)

٢٥ ـ الحسن بن راشد، أبو علي، البغدادي:

له كتاب الراهب والراهبة. (مجمع: ٢/١٠٧)

٢٦ ـ الحسن بن صالح بن حَيّ:

له كتاب. (مجمع: ٢/١١٦)

٢٧ ـ الحسن بن محبوب السراد ـ ويقال الزرّاد ـ، المتوفى سنة ٢٢٤هـ عن ٧٥ عاماً من العمر، له مؤلفات كثيرة، منها:

أ ـ كتاب التفسير.

ب ـ كتاب الحدود.

ج ـ كتاب الديات.

د ـ كتاب الطلاق.

هـ ـ كتاب العتق.

و ـ كتاب الفرائض.

ز ـ كتاب المزاج(كذا).

ح ـ كتاب المشيخة.

ط ـ كتاب النكاح.

ي ـ كتاب النوادر ـ نحو ألف ورقة ـ. (مجمع: ٢/١٤٥ ـ ١٤٦).

٢٨ ـ الحسن بن محمد بن سماعة، أبو علي، المتوفى سنة ٢٦٣هـ، له مؤلفات كثيرة، منها:

أ ـ كتاب البشارات.

ب ـ كتاب الجنائز.

ج ـ كتاب الحج.

د ـ كتاب الحدود.
هـ ـ كتاب الحيض.
و ـ كتاب الدلائل.
ز ـ كتاب الديات.
ح ـ كتاب الزهد.
ط ـ كتاب السهو.
ي ـ كتاب الشراء والبيع.
ك ـ كتاب الصلاة.
ل ـ كتاب الصيام.
م ـ كتاب الطلاق.
ن ـ كتاب الطهور.
س ـ كتاب العبادات.
ع ـ كتاب الغيبة.
ف ـ كتاب الفرائض.
ص ـ كتاب القبلة.
ق ـ كتاب اللباس.
ر ـ كتاب المواقيت.
ش ـ كتاب النكاح.
ت ـ كتاب وفاة أبي عبدالله الصادق (ع).
(الفهرست: ٢٧٨ ومجمع: ٢/ ١٥٠ ـ ١٥٢)

٢٩ ـ الحسين بن أحمد، المنقري:
له كتابٌ. (مجمع: ٢/ ١٦٧)

٣٠ ـ الحسين بن محمد، القمي:
له كتاب النوادر. (مجمع: ٢/ ١٩٦)

٣١ ـ الحسين بن المختار، القلانسي:
له كتابٌ. (مجمع: ٢/ ١٩٨)

٣٢ ـ حفص بن البختري:
له كتابٌ. (مجمع: ٢/ ٢١٠)

٣٣ ـ حفص بن غياث، النخعي الكوفي القاضي، المتوفى سنة ١٩٤هـ:
له كتابٌ. (مجمع: ٢/ ٢١٤ ـ ٢١٥)

٣٤ ـ حماد بن عثمان، الملقّب بالنّاب، الكوفي، المتوفى سنة ١٩٠هـ:
له كتابٌ. (مجمع: ٢/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨)

٣٥ ـ حماد بن عيسى، الجهني البصري، المتوفى سنة ٢٠٩هـ عن نيف وتسعين سنة، وله من المؤلفات:
كتاب الزكاة.
كتاب الصلاة.
كتاب النوادر. (مجمع: ٢/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠)

٣٦ ـ حنان بن سدير، أبو الفضل، الصيرفي الكوفي:
له كتاب في صفة الجنة والنار. (مجمع: ٢/ ٢٤٧ ـ ٢٤٨)

ـ د ـ

٣٧ ـ داوود بن الحصين:
له كتابٌ. (مجمع: ٢/ ٢٨٠ ـ ٢٨١)

٣٨ ـ داوود بن زربي:
له كتابٌ. (مجمع: ٢/٢٨٣)
٣٩ ـ داوود بن فرقد، الأسدي:
له كتابٌ. (مجمع: ٢/٢٨٧)
٤٠ ـ داوود بن كثير، الرقي، له من المؤلفات:
أ ـ أصلٌ.
ب ـ كتاب المزار. (مجمع: ٢/٢٩١)
٤١ ـ دُرُست بن أبي منصور، الواسطي:
له كتابٌ. (مجمع: ٢/٢٩٥)

ـ ز ـ

٤٢ ـ زرارة بن أعين، الشيباني، المتوفى سنة ١٥٠هـ، له مؤلفات؛ منها:
كتاب الاستطاعة والجبر. (مجمع: ٣/٥٠ ـ ٥١)
٤٣ ـ زرعة بن محمد، الحضرمي:
له كتابٌ. (مجمع: ٣/٥٢)
٤٤ ـ زياد بن مروان، أبو الفضل، القندي:
له كتابٌ. (مجمع: ٣/٧٢)

ـ س ـ

٤٥ ـ سعد بن أبي خلف، الزاهد:
له كتابٌ. (مجمع: ٣/٩٩ ـ ١٠٠)

٤٦ ـ سليمان بن جعفر، أبو محمد، الجعفري:
له كتاب فضل الدعاء. (مجمع: ٣/١٥٩)
٤٧ ـ سماعة بن مهران، الكوفي:
له كتابٌ. (مجمع: ٣/١٧٠ ـ ١٧١)
٤٨ ـ سيابة بن ناجية، المدني:
له كتابٌ. (مجمع: ٣/١٨٢)
٤٩ ـ سيف بن عميرة، النخعي الكوفي:
له كتابٌ. (مجمع: ٣/١٨٦ ـ ١٨٧)

ـ ش ـ

٥٠ ـ شعيب بن يعقوب، العقرقوفي:
له كتابٌ. (مجمع: ٣/١٩٦ ـ ١٩٧)

ـ ص ـ

٥١ ـ صالح بن عقبة:
له كتابٌ. (مجمع: ٣/٢٠٧)
٥٢ ـ صفوان بن يحيى، أبو محمد، بياع السابري، المتوفى سنة ٢١٠هـ، له مؤلفات كثيرة، ذكر بعضهم انها بلغت ثلاثين،
منها:
أ ـ كتاب الآداب.
ب ـ كتاب البشارات ـ نوادر ـ.

ج ـ كتاب التجارات.
د ـ كتاب الحج.
هـ ـ كتاب الزكاة.
و ـ كتاب الشراء والبيع.
ز ـ كتاب الصلاة.
ح ـ كتاب الصوم.
ط ـ كتاب الطلاق.
ي ـ كتاب العتق والتدبير.
ك ـ كتاب الفرائض.
ل ـ كتاب المحبة والوظائف.
م ـ كتاب مسائل عن ابي الحسن موسى (ع) وروايات.
ن ـ كتاب النكاح.
س ـ كتاب الوصايا.
ع ـ كتاب الوضوء. (الفهرست: ٢٧٨ ومجمع: ٣/ ٢٢٠ ـ ٢٢١)

-ع-

٥٣ ـ عبدالحميد بن سعيد (أو سعد):
له كتابٌ. (مجمع: ٤/ ٦٨ ـ ٦٩)

٥٤ ـ عبدالرحمن بن الحجاج، الكوفي:
له كتابٌ. (مجمع: ٤/ ٧٧)

٥٥ ـ عبدالكريم بن عمر (أو عمرو)، الخثعمي الكوفي، الملقَّب بكَرّام:
له كتابٌ. (مجمع: ٤/ ١٠١)

٥٦ ـ عبدالله بن جبلة، المتوفى سنة ٢١٩ هـ، له مؤلفات، منها:
أ ـ كتاب الرجال.
ب ـ كتاب الزكاة.
ج ـ كتاب الصفة في الغيبة.
د ـ كتاب الصلاة.
هـ ـ كتاب الطلاق.
و ـ كتاب الفطرة.
ز ـ كتاب مواريث الصلب.
ح ـ كتاب النوادر. (مجمع ٣/ ٢٧٠ ـ ٢٧١)

٥٧ ـ عبدالله بن حماد، الأنصاري:
له كتابان. (مجمع: ٣/ ٢٧٩)

٥٨ ـ عبدالله بن خداش، المهري البصري، ابو خداش:
له كتابٌ. (مجمع: ٣/ ٢٨١)

٥٩ ـ عبدالله بن سنان، له مؤلفات، منها:
أ ـ كتاب الصلاة الكبير.
ب ـ كتاب الصلاة الذي يُعْرَف بعمل يوم وليلة.
ج ـ كتاب في سائر الأبواب من الحلال والحرام. (مجمع: ٤/ ٢ ـ ٣)

٦٠ ـ عبدالله بن القاسم، الحضرمي:
له كتابٌ. (مجمع: ٤/ ٣٥ ـ ٣٦)
٦١ ـ عبدالله بن المغيرة، الكوفي الخزاز، قيل: انه صنَّف ثلاثين كتاباً، منها:
أ ـ كتاب الزكاة.
ب ـ كتاب الصلاة.
ج ـ كتاب الفرائض.
د ـ كتاب في أصناف الكلام.
هـ ـ كتاب الوضوء. (مجمع: ٤/ ٥٥)
٦٢ ـ عبدالله بن يحيى، الكاهلي:
له كتابٌ. (مجمع: ٤/ ٦٣)
٦٣ ـ عثمان بن عيسى، الرؤاسي الكوفي، له مؤلفات، منها:
أ ـ كتاب الصلاة.
ب ـ كتاب القضايا والأحكام.
ج ـ كتاب المياه.
د ـ كتاب الوصايا. (مجمع: ٤/ ١٣٤ ـ ١٣٥).
٦٤ ـ علي بن أبي حمزة، البطائني الأنصاري، له مؤلفات، منها:
أ ـ كتاب التفسير.
ب ـ كتابٌ جامع في أبواب الفقه.
ج ـ كتاب الزكاة.
د ـ كتاب الصلاة. (مجمع: ٤/ ١٥٨)

٦٥ ـ علي بن جعفر بن محمد (ع)، أبو الحسن، له مؤلفات، منها:
أ ـ كتابٌ في الحلال والحرام.
ب ـ كتاب ما سأل عنه أخاه الكاظم (ع).
ج ـ كتاب المناسك. (مجمع: ٤/ ١٧٣)
٦٦ ـ علي بن الحسن، أبو الحسن، الطاطري، له مؤلفات كثيرة قيل انها أكثر من ثلاثين كتاباً، منها:
أ ـ كتاب الامامة.
ب ـ كتاب التوحيد.
ج ـ كتاب الحج.
د ـ كتاب الحيض.
هـ ـ كتاب الدعاء.
و ـ كتاب الصِّداق.
ز ـ كتاب الصلاة.
ح ـ كتاب الطلاق.
ط ـ كتاب الغيبة.
ي ـ كتاب الفرائض.
ك ـ كتاب فضائل أمير المؤمنين (ع).
ل ـ كتاب الفطرة.
م ـ كتاب القبلة.
ن ـ كتاب المتعة.
س ـ كتاب المعرفة.
ع ـ كتاب المواقيت.

ف ـ كتاب النفاس.
ص ـ كتاب النكاح.
ق ـ كتاب الوفاة.
ر ـ كتاب الولاية. (مجمع: ٤/١٨٣)

٦٧ ـ علي بن سويد، التمّار السائي:
له كتابٌ. (مجمع: ٤/١٩٩ ـ ٢٠٠)

٦٨ ـ علي بن شجرة، الشيباني الكوفي:
له كتابٌ. (مجمع: ٤/٢٠١)

٦٩ ـ علي بن عطية:
له كتابٌ. (مجمع: ٤/٢٠٩)

٧٠ ـ علي بن وهبان:
له كتابٌ. (مجمع: ٤/٢٣٣)

٧١ ـ علي بن يقطين، المولود سنة ١٢٤هـ، والمتوفى سنة ١٨٠ أو ١٨٢هـ، له مؤلفات، منها:
أ ـ كتاب ماسُئل عنه الصادق (ع) من الملاحم.
ب ـ كتاب مسائل من أبي الحسن موسى (ع).
ج ـ كتاب مناظرته للشاكّ بحضرة جعفر (ع).
(الفهرست: ٢٧٩ ومجمع: ٤/٢٤٠ ـ ٢٤١)

٧٢ ـ عمار بن موسى، أبو الفضل، الساباطي الكوفي:
له كتاب كبير «جيّد معتمد». (مجمع: ٤/٢٤٥)

٧٣ ـ عمر بن محمد بن عبدالرحمن بن اذينة، له من المؤلفات:
أ ـ كتاب الفرائض.
ب ـ كتابٌ يُعْرَف باسم كتاب عمر بن اذينة، وهو «نسختان احداهما الصغرى؛ والاخرى الكبرى».
(مجمع: ٤/٢٥٥ ـ ٢٥٦)

٧٤ ـ عمر بن محمد بن يزيد، أبو الأسود، بيّاع السابري:
له كتابٌ في مناسك الحج وفرائضه وما هو مسنون في ذلك.
(مجمع: ٤/٢٦٥)

٧٥ ـ عيسى بن يونس بُزُرْج:
له كتابٌ. (مجمع: ٤/٣٠٨)

ـ غ ـ

٧٦ ـ غالب بن عثمان:
له كتابٌ. (مجمع: ٥/٢)

ـ ف ـ

٧٧ ـ فضالة بن أيوب، الأزدي، له مؤلفات، منها:
أ ـ كتاب الصلاة.
ب ـ كتاب نوادر. (مجمع: ٥/١٧ ـ ١٨)

٧٨ ـ الفضل بن يونس، الكاتب، الكوفي البغدادي:
له كتابٌ. (مجمع: ٥/٣٤)

ـ ق ـ

٧٩ ـ القاسم بن محمد، الجوهري الكوفي:
له كتابٌ. (مجمع: ٥/٥٠ ـ ٥١)

ـ ل ـ

٨٠ ـ ليث المرادي، أبو بصير:
له كتابٌ. (مجمع: ٥/٨٧)

ـ م ـ

٨١ ـ محمد بن اسماعيل بن بزيع، له مؤلفات، منها:
أ ـ كتاب ثواب الحج.
ب ـ كتاب الحج. (مجمع: ٥/١٥٢)

٨٢ ـ محمد بن بكر بن جناح:
له كتابٌ في النوادر. (مجمع: ٥/١٦٩)

٨٣ ـ محمد بن حكيم، الخثعمي:
له كتابٌ. ويحتمل أن يكون الكتاب من تأليف ابنه جعفر.
(مجمع: ٢/٣٩ و٥/٢٠٠ ـ ٢٠١)

٨٤ ـ محمد بن خالد بن عمر، أبو عبدالله، الطيالسي، المتوفى سنة ٢٥٩هـ عن سبع وتسعين سنة:
له كتابٌ في النوادر. (مجمع: ٥/٢٠٧)

٨٥ ـ محمد بن سليمان، البصري الديلمي:
له كتابٌ. (مجمع: ٥/٢١٩ ـ ٢٢٠)

٨٦ ـ محمد بن سنان، الكوفي، المتوفى سنة ٢٢٠هـ، له مؤلفات، منها:
أ ـ كتاب الأظلّة.
ب ـ كتاب الحج.
ج ـ كتاب الشراء والبيع.
د ـ كتاب الصيد والذبائح.
هـ ـ كتاب الطرائف.
و ـ كتاب المكاسب.
ز ـ كتاب النوادر.
ح ـ كتاب الوصية: (مجمع: ٥/٢٣٠ ـ ٢٣١)

٨٧ ـ محمد بن الصباح، الكوفي:
له كتابٌ. (مجمع: ٥/٢٣٦)

٨٨ ـ محمد بن صدقة، أبو جعفر، العنبري البصري:
له كتابٌ. (مجمع: ٥/٢٣٦)

٨٩ ـ محمد بن عذافر، الصيرفي المدائني، المتوفى عن ثلاث وتسعين سنة:
له كتابٌ. (مجمع: ٥/٢٦٠)

٩٠ ـ محمد بن علي (أو ابن النعمان)، أبو جعفر، مؤمن الطاق، الأحول الكوفي البجلي، له مؤلفات كثيرة، منها:
أ ـ كتاب الاحتجاج في امامة أمير المؤمنين (ع).
ب ـ كتاب افعلْ لا تفعل، «وهو كتاب كبيرحسن».
ج ـ كتاب الامامة.

د ـ كتاب الجمل في أمر طلحة والزبير وعائشة.
هـ ـ كتاب الرد على المعتزلة في امامة المفضول.
و ـ كتاب كلامه على الخوارج.
ز ـ كتاب مجالسته مع أبي حنيفة والمرجئة.
ح ـ كتاب المعرفة. (الفهرست: ٢٢٤ ومجمع: ٦/٧ ـ ٨)

٩١ ـ محمد بن فضيل:
له كتابٌ. (مجمع: ٦/٢٢)

٩٢ ـ محمد بن فضيل، الكوفي الأزدي الصيرفي:
له كتابٌ. وله مسائل. (مجمع: ٦/٢٣)
ولعله ذو الرقم (٩١) نفسه.

٩٣ ـ محمد بن مرازم بن حكيم:
له كتابٌ. (مجمع: ٦/٣٨)

٩٤ ـ محمد بن مسلم، الطحان، المتوفى سنة ١٥٠هـ:
له كتابٌ يُسَمّى «الأربعمائة مسألة في أبواب الحلال والحرام».
(مجمع: ٦/٥٣ ـ ٥٤)

٩٥ ـ مرازم بن حكيم، الأزدي:
له كتابٌ. (مجمع: ٦/٨١)

٩٦ ـ المفضل بن عمر، الجعفي، له مؤلفات، منها:
أ ـ كتاب علل الشرائع.
ب ـ كتاب فَكِّرْ؛ وهو كتابٌ في بدء الخَلْق والحثّ على الاعتبار، وهو مطبوع أكثر من مرة باسم «توحيد المفضل».

ج ـ كتاب ما افترض الله على الجوارح.
د ـ كتاب وصية المفضل.
هـ ـ كتاب يوم وليلة. (مجمع ٦/١٣١).

٩٧ ـ منصور بن يونس بُزُرج:
له كتابٌ. (مجمع: ٦/١٤٦)

٩٨ ـ مهران بن أبي بصير (أو ابن أبي نصر)، السكوني:
له كتابٌ. (مجمع: ٦/١٦٣)

٩٩ ـ موسى بن ابراهيم، المروزي، معلِّم ولد السندي بنْ شاهك:
له كتاب روايات عن الامام موسى بن جعفر (ع) ذكر انه سمعها منه يوم كان محبوساً عند السندي، ويأتي مزيد كلام عنه في ختام هذا الفصل. (مجمع ٦/١٤٧)

١٠٠ ـ موسى بن بكر، الواسطي الكوفي:
له كتابٌ. (مجمع: ٦/١٥٢)

١٠١ ـ موسى بن سعدان الخيّاط (أو الحنّاط)، له مؤلفات، منها:
كتاب الطرائف (أو الطوائف). (الفهرست: ٢٧٩ ومجمع: ٦/١٥٦)

ـ ن ـ

١٠٢ ـ نشيط بن صالح بن عبدالله، العجلي:
له كتابٌ. (مجمع: ٦/١٧٥ ـ ١٧٦)

١٠٣ ـ نصر بن قابوس، اللخمي:
له كتابٌ. (مجمع: ٦/١٧٨)

١٠٤ ـ النضر بن سويد:
له كتابٌ في النوادر. (مجمع: ٦/ ١٨٠)

ـ هـ ـ

١٠٥ ـ هشام بن الحكم، ابو محمد، الكوفي الواسطي الشيباني، المتوفى سنة ١٧٩هـ وقيل أيام خلافة المأمون، لـه مؤلفات كثيرة، منها:

أ ـ كتاب الأخبار.
ب ـ كتاب اختلاف الناس في الامامة.
ج ـ كتاب الاستطاعة.
د ـ كتاب الألطاف.
هـ ـ كتاب الألفاظ.
و ـ كتاب الامامة.
ز ـ كتاب التدبير في الامامة.
ح ـ كتاب التوحيد.
ط ـ كتاب الثمانية الأبواب.
ي ـ كتاب الحكمَيْن.
ك ـ كتاب الدلالات على حدوث الأشياء.
ل ـ كتاب الردِّ على ارسطا طاليس في التوحيد.
م ـ كتاب الرد على أصحاب الاثنين.

ن ـ كتاب الرد على أصحاب الطبائع.
س ـ كتاب الرد على الزنادقة.
ع ـ كتاب الرد على المعتزلة.
ف ـ كتاب آخر في الرد على المعتزلة.
ص ـ كتاب الرد على المعتزلة في أمر طلحة والزبير.
ق ـ كتاب الرد على من قال بامامة المفضول.
ر ـ كتاب الرد على هشام الجواليقي.
ش ـ كتاب الشيخ والغلام في التوحيد.
ت ـ كتاب علل التحريم.
ث ـ كتاب على شيطان الطاق.
خ ـ كتاب الفرائض.
ذ ـ كتاب في الجبر والقدر.
ض ـ كتاب القدر (وهو غير المتقدم).
ظ ـ كتاب المجالس في الامامة.
غ ـ كتاب المجالس في التوحيد.
أب ـ كتاب المعرفة.
أج ـ كتاب الميدان.
أد ـ كتاب الميزان.
أهـ ـ كتاب الوصية والرد على من أنكرها.
(الفهرست: ٢٢٣ ـ ٢٢٤ ومجمع: ٦/٢٣٢ ـ ٢٣٤)

١٠٦ ـ هشام بن سالم، الكوفي، له مؤلفات، منها:

أ ـ كتاب أصلٍ.

ب ـ كتاب التفسير.
ج ـ كتاب الحج.
د ـ كتاب المعراج. (مجمع: ٦/٢٣٨)

ـ ي ـ

١٠٧ ـ يحيى بن أبي القاسم، أبو بصير، الأسدي، المتوفى سنة ١٥٠هـ، له:
أ ـ كتاب مناسك الحج.
ب ـ كتاب يوم وليلة. (مجمع: ٦/٢٥٠ ـ ٢٥١)

١٠٨ ـ يحيى بن عبدالرحمن، الأزرق الكوفي:
له كتابٌ. (مجمع: ٦/٢٦١)

١٠٩ ـ يحيى بن عمران، الكوفي، وقيل له الحلبي لأن تجارته كانت الى حلب:
له كتابٌ. (مجمع: ٦/٢٦١ ـ ٢٦٢)

١١٠ ـ يعقوب بن شعيب بن ميثم، الأسدي الكوفي التمّار:
له كتابٌ. (مجمع: ٦/٢٧٤ ـ ٢٧٥)

١١١ ـ يونس بن عبدالرحمن، أبو محمد، له مؤلفات كثيرة تجاوز عددها الثلاثين، وكان «كثير التصنيف والتأليف»، ومنها:
أ ـ كتاب الآداب.
ب ـ كتاب الاحتجاج في الطلاق.
ج ـ كتاب اختلاف الحج.
د ـ كتاب اختلاف الحديث.

هـ ـ كتاب الأدب والدلالة على الخير.
و ـ كتاب الامامة.
ز ـ كتاب البداء.
ح ـ كتاب البيوع والمزارعات.
ط ـ كتاب التجارات.
ي ـ كتاب تفسير القرآن.
ك ـ كتاب ثواب الحج.
ل ـ كتاب جامع الآثار.
م ـ كتاب الجامع الكبير في الفقه.
ن ـ كتاب الحدود.
س ـ كتاب الديات.
ع ـ كتاب الرد على الغلاة.
ف ـ كتاب الزكاة.
ص ـ كتاب السهو.
ق ـ كتاب الشرائع.
ر ـ كتاب الصلاة.
ش ـ كتاب الصيام.
ت ـ كتاب الطلاق.
ث ـ كتاب العلل.
خ ـ كتاب علل الحديث ـ أو الأحاديث ـ، وهو غير السابق.
ذ ـ كتاب علل النكاح وتحليل المتعة.

ض ـ كتاب الفرائض الصغير.
ظ ـ كتاب فضل القرآن.
غ ـ كتاب اللؤلؤة في الزهد.
أب ـ كتاب المتعة.
أج ـ كتاب المثالب.
أد ـ كتاب مسائله عن أبي الحسن موسى (ع).
أهـ ـ كتاب المكاسب.
أو ـ كتاب النكاح.
أز ـ كتاب نوادر البيوع.
أح ـ كتاب الوصايا والفرائض.
أط ـ كتاب الوضوء.
أي ـ كتاب يوم وليلة. (الفهرست: ٢٧٦ ومجمع: ٦/٣٠٥ ـ ٣٠٧)

١١٢ ـ يونس بن يعقوب بن قيس، أبو علي، الجلّاب الدهني:
له كتاب الحج. (مجمع: ٦/٣١١)

ـ الكنى ـ

١١٣ ـ أبو جنادة الأعمى:
له كتابٌ. (مجمع: ٧/٢٠)

١١٤ ـ أبو شعيب المحاملي:
له كتابٌ. (مجمع: ٧/٥٣)

١١٥ ـ أبو يحيى المكفوف:
له كتابٌ. (مجمع: ٧/١١٠)

★★★

وقبل أن نختم الحديث عن تراث الامامة وبيان أهم جوانبه في الرواية والاسناد؛ ينبغي أن لاتفوتنا الاشارة الى تلك الأحاديث التي جمعها أبو عمران موسى بن ابراهيم المروزي مما سمعه من الامام ودوّنه، وهو المجموع الذي أطلق عليه متداولوه من رجال الحديث اسم «مسند الامام موسى بن جعفر»[1].

وكان هذا المروزيُّ معلِّمَ ولد السندي بن شاهك سجّان الامام، وقد توفي بعد سنة ٢٢٩هـ، ويبدو أنه سمع تلك الأحاديث من الامام حينما كان محبوساً عند السندي، وقد حدَّث بها أبو عمران فسمعها منه محمد بن خلف بن عبدالسلام المعروف بالمروزي أيضاً ـ لأنه كان يسكن محلة المراوزة ـ؛ المتوفى سنة

(١) وقفت على نسخة مخطوطة منه في خزانة دار الكتب الظاهرية بدمشق، وعرَّفتُ بها تفصيلاً في بحثٍ نشرتُه في مجلة البلاغ الكاظمية (العدد ٧ من السنة ٦) في سنة ١٣٩٦هـ، وأظنها مكتوبة بخط الحافظ أبي المحاسن عمر بن علي القرشي المتوفى سنة ٥٧٥هـ. والراجح انها منتخبات من كتاب موسى بن ابراهيم المذكور، فقد وردت عدة أحاديث يرويها المروزي هذا عن الامام موسى بن جعفر (ع) في الكافي والاختصاص للمفيد وتاريخ بغداد وتهذيب الطوسي ـ وكلها متناسقة مع سياق أحاديث المخطوطة ـ ولكنها لم ترد فيها.

٢٨١ هـ[1]، فكان هو همزة الوصل بين سامعها وجامعها الأول وبين من رواها بعد ذلك من الأجيال المتعاقبة.

وذكر النجاشي انه يروي هذا الكتاب عن الحسين بن عبيدالله، عن اسماعيل بن يحيى بن أحمد العبسي، عن محمد بن أحمد بن أبي سهل الحربي، عن محمد بن خلف بن عبدالسلام ـ وقد حدَّث بذلك يوم الجمعة بعد الصلاة لستٍّ بقين من المحرم سنة ثمان وسبعين ومائتين في جامع المدينة ـ عن موسى بن ابراهيم.

كما ذكر الشيخ الطوسي انه يروي هذا الكتاب عن أحمد بن عبدون، عن أبي بكر الدوري، عن أبي الحسن محمد بن أحمد الجرمي، عن محمد بن خلف بن عبدالسلام، عن موسى بن ابراهيم المروزي[2].

(١) يراجع في ترجمة محمد بن خلف: تاريخ بغداد: ٥/٢٣٥ ـ ٢٣٦ واللباب: ١٢٧/٣ ومعجم البلدان: ٩/٨.

(٢) يراجع في ترجمة موسى بن ابراهيم جامع الأحاديث: تاريخ بغداد: ٣٨/١٣ ومجمع الرجال: ١٤٧/٦.

وبعد:

فهذا هو موسى بن جعفر (ع) سابع المنتجبين في شاهق مقامه وسماء مجده: إمامٌ مفترض الطاعة بنصٍّ أبيه الأكرم وإشارة جدِّه الأعظم (ص)، وصاحبُ الولاية الشرعية في رقاب المسلمين باجتماع شروط الولاية فيه وانحصارها به خاصةً دون غيره من معاصريه المتغلِّبين على الأمر بالقوة والجبروت، وملجأُ طالبي العلم والمعرفة ـ على اختلاف توجهاتهم المذهبية وتنوُّع مشاربهم الفكرية ـ بما ورث من أسلافه الميامين من علمٍ مرتبط الوشائج بوحي الله تعالى وكتابه المنزل؛ ومعرفةٍ متصلة الحلقات برسول الله (ص) وسنته الشريفة المباركة.

وقد تجلى بما لم يبق فيه أدنى شك أو ريب بأن من عاصرهم الامام من خلفاء ذلك الزمان وحكام تلك الحقبة كانوا أبعد الناس عن تمثيل نهج الاسلام؛ وعن السير على هداه والالتزام بلوازمه، إذ تجردوا ـ بما ارتكبوا من شرور وآثام ـ من كل أهلية واستحقاق لأية مسؤولية إدارية في الدولة؛ ومن كل جدارة وكفاية لإشغال أي مركز يرتبط بمصالح العباد ومنافع البلاد، لأن فاقد الشيء لا يعطيه. وكيف يردع الجناة عن جناياتهم من يسير بسيرة الظلم والجور والبطش والارهاب!!، وكيف ينفذ أحكام الله عز وجل مَنْ هو متمرد ذاتاً على تلك الأحكام ومستعد لفعل أي محظور في

سبيل مآربه الخاصة وشهواته الفردية ونزغات نفسه الأمّارة بالسوء.

والحقُّ الذي لا مناص من اقرار الجميع به أن موسى بن جعفر بما اتفقت الكلمة عليه من علمه وفضله؛ وزهده وورعه؛ ومكارم أخلاقه وجميل آدابه؛ وسعة صدره وشدة حلمه، ومن تمتعه بكل مواهب القدِّيسين وصفات الصدِّيقين. ان هذا الرجل العظيم ـ وقد تجمعت فيه جميع هذه المزايا والخصال ـ هو الامام الشرعي في عصره على وجه الحصر والتعيين، وان الواجب الديني يفرض الاعتقاد بامامته على كل من يريد التمسك بالاسلام والانخراط في مسيرة المؤمنين الذين عمر الايمان قلوبهم وتغلغل في دواخل نفوسهم، وان معرفته ـ بهذه الخصائص ـ هي التنفيذ الصائب السليم للأمر النبوي بوجوب معرفة أهل كل زمانٍ لإمام ذلك الزمان كي لا يموتوا ميتة جاهلية.

والمستفاد من نصوص المؤرخين وأخبار المحدِّثين ان هذه المزايا والخصائص التي احتشدت في شخصية الامام الكاظم (ع) وتركيبة ذاته القدسية الفريدة؛ قد اشتهرت بين الناس عامة؛ وانتشر خبرها في مختلف الأصقاع والبلدان، فهيمنت على مشاعر الجميع؛ واستقرت في أعماقهم، بل انجذب اليها فيمن انجذب بعضُ مَنْ لم يُعْرَف عنه تمسكٌ حرفي بأحكام الدين وتكاليف الشرع، حتى بلغت الحال ـ فيما روى السروي ـ بالشاعر أبي نؤاس وقد لقي الامام موسى بن جعفر (ع) في بعض الأيام فانفعل بهذا اللقاء أشد الانفعال؛ أن يندفع قائلاً:

اذا أبصرتك العينُ من غير ريبةٍ
وعارض فيك الشكُّ أثبتك القلبُ
ولو أن ركباً أمّموك لقادهم
نسيمك حتى يستدلَّ بك الركبُ
جعلتُك حسبي في أموري كلها
وما خاب مَنْ أضحى وأنت له حَسْبُ[1]

★★★

وليس لنا ما نقوله في خاتمة المطاف الا أن نبتهل الى الله تعالى مخلصين خاشعين، فنشكره على ما أولانا من نعمة الايمان بدينه الأكمل وكتابه المنزل وحبيبه المرسل خاتم النبيين وسيد المرسلين وأوصيائه الأئمة المطهرين؛ حجج الله على العباد وامنائه في البلاد؛ وحبله الموصول بين السماء والأرض؛ وسفينة النجاة في اللجج الغامرة.

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. وهو ولي التوفيق والتسديد.

(١) المناقب: ٢/٣٧٨ وبحار الأنوار: ٤٨/١٠٧.

فهرس المصادر والمراجع

الأئمة الاثنا عشر / لابن طولون الدمشقي	بيروت ١٣٧٧هـ
الاحتجاج / للطبرسي	النجف ١٣٥٠هـ
الأخبار الطوال / للدينوري	القاهرة ١٩٦٠م
الارشاد / للمفيد محمد بن محمد بن النعمان	طهران ١٣٠٨هـ
إسعاف الراغبين / للصبان ـ هامش نور الأبصار ـ	القاهرة ١٣٥٦هـ
الأغاني / لأبي الفرج الاصبهاني ـ ج ١٠ ـ	القاهرة (طبعة مصوَّرة)
أمالي / الشيخ المفيد محمد بن محمد	النجف ١٣٦٧هـ
الامام جعفر الصادق (ع) / لمحمد حسن آل ياسين	بيروت ١٤١٩هـ
بحار الأنوار / لمحمد باقرالمجلسي ـ ج ٤٨ ـ	طهران ١٣٨٧هـ
البداية والنهاية / لابن كثير الدمشقي	القاهرة ١٣٥١هـ
تاريخ / أبي الفدا	القاهرة ١٣٢٥هـ
تاريخ / الطبري	القاهرة ١٩٦٣م
تاريخ / اليعقوبي	النجف ١٣٥٨هـ
تاريخ بغداد / للخطيب البغدادي	بيروت (طبعة مصوَّرة)
تاريخ الخلفاء / للسيوطي	القاهرة ١٣٥١هـ
تاريخ الخميس / للديار بكري	القاهرة ١٢٨٣هـ
تحف العقول / لابن شعبة الحراني	النجف ١٣٨٣هـ
تذكرة الحفاظ / للذهبي	الهند ١٣٧٥هـ
تذكرة الخواص / لسبط ابن الجوزي	النجف ١٣٦٩هـ

التهذيب/ للطوسي محمد بن الحسن — طهران ١٣٩٠هـ
تهذيب التهذيب/ لابن حجر العسقلاني — الهند ١٣٢٦هـ
جواهر الكلام/ للشيخ محمد حسن النجفي ـ ج٢٠ ـ — النجف ١٣٨٩هـ
حلية الأولياء/ لأبي نعيم — بيروت ١٣٨٧هـ
ديوان / السيد حيدر الحلي ـ نشرة الخاقاني ـ — النجف ١٣٦٩هـ
ديوان/ عبدالباقي العمري — النجف ١٣٨٤هـ
ديوان/ عبدالغفار الأخرس — استانبول ١٣٠٤هـ
ربيع الأبرار/ للزمخشري ـ ج١ ـ — بغداد ١٤٠٠هـ
رجال/ الطوسي محمد بن الحسن — النجف ١٣٨١هـ
سنن/ ابي داوود — القاهرة ١٣٧١هـ
سنن/ الترمذي — القاهرة ١٣٥٦هـ
سير أعلام النبلاء/ للذهبي — بيروت ١٤٠٦هـ
شذرات الذهب/ لابن العماد الحنبلي — القاهرة ١٣٥٠هـ
شرح نهج البلاغة/ لابن أبي الحديد المعتزلي — القاهرة ١٣٧٨هـ
صحيح / البخاري ـ طبعة محمد علي صبيح ـ — القاهرة (بلا تاريخ)
صحيح / مسلم ـ طبعة محمد علي صبيح ـ — القاهرة (بلا تاريخ)
صفة الصفوة/ لابن الجوزي — الهند ١٣٨٩هـ
الصواعق المحرقة/ لابن حجر الهيتمي — القاهرة ١٣١٢هـ
العبر/ للذهبي — بيروت ١٤٠٥هـ
عقيدة الشيعة/ لدونلدسن ـ الترجمة العربية ـ — القاهرة ١٣٦٥هـ
عمدة الزائر/ للسيد حيدر الحسني — بيروت ١٣٩٩هـ

عمدة الطالب/ للداوودي النسابة — النجف ١٣٥٨هـ
الفخري / لابن الطقطقى — القاهرة ١٩٣٨م
الفصل/ لابن حزم — بيروت ١٣٩٥هـ
الفصول المهمة/ لابن الصباغ المالكي — النجف ١٣٧٠هـ
الفهرست/ لابن النديم — طهران ١٣٩١هـ
الكافي/ لمحمد بن يعقوب الكليني — طهران ١٣٧٥هـ
الكامل/ لابن الأثير ـ ج٥ ـ — القاهرة ١٣٥٧هـ
كفاية الطالب/ للكنجي الشافعي — النجف ١٣٥٦هـ
اللباب/ لابن الأثير — القاهرة ١٣٥٧هـ
مجلة اكتوبر المصرية/ العدد ٣٣٤ — القاهرة ١٩٨٣م
مجمع الرجال/ للقهبائي — ايران ١٣٨٤هـ
مجمع الزوائد/ لابن حجر — بيروت ١٩٦٧م
مختصر تاريخ العرب/ — القاهرة ١٩٣٨م
للسيد أمير علي الهندي ـ الترجمة العربية ـ — الهند ١٣٣٧هـ
مرآة الجنان/ لليافعي — القاهرة ١٣٥٧هـ
مروج الذهب/ للمسعودي — بيروت ١٣٨٩هـ
مسند/ أحمد بن حنبل — النجف ١٣٧١هـ
مطالب السؤول/ لمحمد بن طلحة الشافعي — بغداد ١٣٩٨هـ
المعجم الكبير/ للطبراني ـ ج٢ ـ — القاهرة ١٣٢٣هـ
معجم البلدان/ لياقوت — القاهرة ١٣٦٤هـ
معجم ما استعجم/ للبكري

مقاتل الطالبيين/ لأبي الفرج الاصبهاني — القاهرة ١٣٦٨هـ
المناقب/ لابن شهر اشوب السروي — ايران ١٣١٧هـ
منهاج السنة/ لابن تيمية — القاهرة ١٣٢١هـ
نثر الدر/ للآبي — القاهرة ١٩٨٠م
النجوم الزاهرة/ لابن تغرى بردى — القاهرة (طبعة مصورة)
نور الأبصار/ للشبلنجي — القاهرة ١٣٥٦هـ
وفيات الأعيان/ لابن خلكان — القاهرة ١٣٦٧هـ
ينابيع المودة/ للقندوزي الحنفي — استانبول ١٣٠٢هـ

فهرس مطالب الكتاب

الصفحة

المقدمة ٥ـ١٠
موسى بن جعفر بين ولادته وإمامته ١١ـ٢٦
- ولادته: يومها وشهرها وسنتها ـ أُمُّه ـ كنيته ـ ألقابه ـ نشأته ـ ملامحه وشمائله ـ نساؤه وأولاده ـ بعض ما عانى من أحداث عصره أيام شبابه ـ .
الامام موسى بن جعفر (ع) بين إمامته وشهادته ٢٧ـ٩٦
- نصُّ أبيه (ع) على إمامته ـ النصوص النبوية الشريفة الدالة على إمامته ـ الخلفاء المدَّعون للامامة في عصره ولمحات من أحوالهم وأفعالهم: المنصور، المهدي، الهادي، الرشيد ..... (٢٩ـ٤٣)
- الامام موسى بن جعفر (ع) في علمه وفقهه، في عبادته وورعه، في سعة صدره ومكارم أخلاقه، في كرمه وسخائه ـ نظرة موضوعية مقارنة فيما قيل فيه وفي مدَّعي الامامة من معاصريه ـ انحصار الامامة فيه ـ ..... (٤٣ـ٥٥)

- موقف الامام من وقائع زمانه وأحداث أيامه - مجمل علاقاته بحكام ذلك العصر : علاقته بالمنصور - علاقته بالمهدي وسجن الامام في عهده - علاقته بالهادي - موقف الامام من ثورة الحسين بن علي الحسني - علاقته بالرشيد - مطاردة الرشيد للعلويين عامة وبطشه بهم - حقد الرشيد على الامام وأسباب ذلك - إحساس الامام بأن الرشيد سيقتله - وصية الامام (ع) الشرعية - وقفية الامام لاحدى ضياعه - تكرار استقدام الامام الى العراق - المناقشات بين الامام والخليفة في قرب أولاد البنات - تعليق ابن أبي الحديد المعتزلي على هذه المناقشات - موقف الامام من ثورة يحيى بن عبدالله -. (٥٦ - ٧٨)
- القبض على الامام ونقله من المدينة الى البصرة وسجنه هناك - نقل الامام من سجن البصرة الى أحد سجون بغداد - نقل الامام من سجن الى سجن في بغداد - سجن السندي بن شاهك وهو آخر السجون - تصميم الخليفة على قتل الامام بالسم - الايعاز الى السندي بتنفيذ ذلك -

وفاة الامام : يومها وشهرها وسنتها - مدفن الامام ومشهده -. . . . . (٧٨ - ٩٦)
تراث الامامة . . . . . ٩٧ - ١٤٨
- اتفاق علماء المسلمين على غزارة علم الامام وتقدمه في ذلك على الآخرين - مصادر علم الامام ومنابع فضله - ما روي عن الامام في نفي علمه بالغيب وفي التأكيد على الرجوع الى كتاب الله وسنة رسوله (ص) - .
- أهمّ ما في ذلك التراث : تكريم العقل وكونه الحجة على الناس - تقديس العلم والحث على التعلم وتفضيل طلب العلم على العبادة - النهي عن الأخذ بالبدع والعمل بالرأي - بعض المأثور عنه في مسائل الكلام والفلسفة ونفي شبهات الجبر والقدر - اشارات الى المأثور عنه في فروع الفقه وأحكام الشريعة - توجيهاته في قضايا السلوك الانساني والتكافل الاجتماعي والروابط الأخلاقية - توجيهاته الخاصة لشيعته - تنبيهه على قيمة الوقت وكيفية تقسيمه - ارشاده الى الاعتماد على الدعاء عند الشدائد والأزمات - بعض الاشارات

العلميـــة والصحيـة والأقـــوال الحكـميـة
والشـــواهـد الشعـــريـة ـ.. (٩٩ ـ ١١٨)
ـ رواة هذا التراث وكثرة عددهم ـ المؤلفون
منهم وذوو المصنفات ـ أسماء اولئك المؤلفين
وسرد مؤلفـاتهم ـ.. مسند الامـام موسى بن
جعفر (ع) للمروزي ـ . . (١١٩ ـ ١٤٨)
الخاتمة . . . . . ١٤٩ ـ ١٥١
فهرس المصادر والمراجع . . . . . ١٥٣ ـ ١٥٦
فهرس مطالب الكتاب . . . . . ١٥٧ ـ ١٦٠